المجلد السادس عشر ١٨٢، ١٨١ الجزء الأول والثاني



مجلة المجمع العلمي العربي

أنشئت سنة ١٣٣٩ هـ الموافقة لسنة ١٩٢١ م
تنشر في دمشق مرة في الشهر

كانون الثاني وشباط سنة ١٩٤١ م
المحرم وصفر سنة ١٣٦٠ هـ

دمشق

المجمع العلمي العربي

قيمة الاشتراك السنوي { في سورية ولبنان ٣٠٠ قرش سوري
الدفع مقدماً { وفي جميع الأقطار ٤٠٠ 〃 〃

مطبعة الترقي بدمشق

العودة

تعود مجلة المجمع العلمي العربي إلى الظهور بعد احتجابها بضع سنين كان السبب الأول فيه نقص مواردها . ويسرّها اليوم أن ترجع إلى اتصالها بقرائها علَى ما كانت خلال الخمس عشرة سنة التي طالعتهم فيها بأبحاثها .

يعود المجمع العلمي العربي إلى مزاولة أعماله وسط زعازع هذه الحرب الناشبة ، وكله أمل أن يُظلّ السلامُ العالم فيتصل بأعضائه في الغرب والشرق ، ويعود الذين حيل بيننا وبينهم الآن إلى افادتنا من دراساتهم .

يحتاج العلم الى الهدوء والاستقرار فإذا متع حَفَدته بذَرو منهما وجب عليهم ألا يتوقفوا عن بذل الجهد فيما تمحضوا له . ألسنا قد قرأنا في صحف الأقدمين أن بعض المؤلفين من أجدادنا كانوا يصنفون كتبهم والعدو يحاصر مدينتهم ، وبعضهم أنجز تأليفه والعرادات والدبابات تتعاور ضرب أسوار قلعتهم ، ما ثناهم هول الوغى عن نفع قومهم بثمرات عقولهم ، ووجدوا في العمل سلوى ، وفي بث الفكر واجباً يوفونه . والاضطرابات كالمصائب طبيعية الحدوث في هذا العالم ، وما عهد أن صفت الدنيا لأبنائها صفاءً تاماً

ولقد اطرد صدور مجلتنا هذه خلال ثورة سنة ١٩٢٥ — ١٩٢٦ والأخطار منا قاب قوسين أو أدنى فعجب رصيفنا العلامة ماكدونالد الأميركي لثباتنا في تلك الفتنة وقال إننا أحيينا سنة الجمعية الآسياوية الباريزية يوم كانت تثابر على إصدار مجلتها وباريز محصورة .

احتمل المجمع العلمي منذ نشأته ألوان المثبطات ، ولقي أيضاً شيئاً كثيراً من المنشطات . فما وهى في الأولى ولا زها في الثانية . ويغتبط اليوم أن يرجع إلى ربط ماانقطع من سند أحاديثه بفضل من مهدوا له السبيل لإتمام مقاصده ، شاكراً لهم مناصرتهم . والحق إذا خذله أعداؤه لا يعدم من أوليائه تأييداً ، والله الملهم والمسدد .

اعضاء المجمع العلمي العربي

في سنة ١٣٦٠ هـ ١٩٤١ م

عدد	الاسم	محل الاقامة
١	السيد محمد كرد علي رئيس المجمع العلمي	دمشق
٢	الدكتور أسعد الحكيم	〃
٣	الشيخ محمد بهجة البيطار	〃
٤	السيد خليل مردم بك	〃
٥	» رشيد بقدونس	〃
٦	» سليم الجندي	〃
٧	» شفيق جبري	〃
٨	» عارف النكدي	〃
٩	الشيخ عبدالقادر المبارك	〃
١٠	» عبدالقادر المغربي	〃
١١	السيد عزالدين التنوخي	〃
١٢	» فارس الخوري	〃
١٣	الدكتور مرشد خاطر	〃
١٤	السيد معروف الأرناؤط	〃
١٥	الأمير مصطفى الشهابي	〃
١٦	الشيخ بدر الدين النعساني	حلب
١٧	» راغب الطباخ	〃
١٨	» عبد الحميد الجابري	〃
١٩	» عبد الحميد الكيالي	〃
٢٠	السيد سويريوس افرام	حمص
٢١	الشيخ ابراهيم منذر	بيروت
٢٢	فؤاد باشا الخطيب	〃
٢٣	السيد بولس الخولي	〃
٢٤	الشيخ عبدالرحمن سلام	〃
٢٥	السيد عمر الفاخوري	〃
٢٦	الفيكونت فيليب دي طرازي	بيروت
٢٧	الشيخ مصطفى الغلاييني	〃
٢٨	الدكتور نقولا فياض	〃
٢٩	السيد عيسى اسكندر المعلوف	زحلة
٣٠	الشيخ أحمد رضا	النبطية
٣١	الشيخ سليمان ظاهر	»
٣٢	» سليمان أحمد	اللاذقية
٣٣	السيد ادوارد مرقص	〃
٣٤	الشيخ محمد زين العابدين	انطاكية
٣٥	السيد اسعاف النشاشيبي	القدس
٣٦	» عبدالله مخلص	〃
٣٧	الشيخ رضا الشبيبي	بغداد
٣٨	الأب انستاس الكرملي	〃
٣٩	السيد كاظم الدجيلي	〃
٤٠	» معروف الرصافي	〃
٤١	» طه الراوي	〃
٤٢	الشيخ مصطفى باشا عبد الرازق	مصر
٤٣	» عبد العزيز البشري	〃
٤٤	السيد خليل ثابت	〃
٤٥	أحمد بك أمين	〃
٤٦	السيد أحمد حسن الزيات	〃
٤٧	» محمد لطفي جمعة	〃
٤٨	الدكتور أحمد عيسى بك	〃
٤٩	أحمد لطفي السيد باشا	〃
٥٠	السيد خير الدين الزركلي	〃

عدد	الاسم	محل الاقامة	عدد	الاسم	محل الاقامة
٥١	الدكتور أمين باشا المعلوف	مصر	٧٠	السيد هيس	سويسرا
٥٢	السيد خليل مطران	«	٧١	» هوتسما	هولاندة
٥٣	» عباس محمود العقاد	«	٧٢	» أراندونك	«
٥٤	الشيخ محمد الخضر حسين	«	٧٣	» كرينكو	انكلترا
٥٥	السيد حسن حسني عبد الوهاب	تونس	٧٤	» بروكامن	المانيا
٥٦	الشيخ عبد الحي الكتاني	فاس	٧٥	» هارتمان	«
٥٧	الامير شكيب أرسلان	لوزان	٧٦	» ميتفوخ	«
٥٨	السيد عبدالعزيز الميمني الراجكوتي	الهند	٧٧	» سترستين	السويد
٥٩	الشيخ أبو عبدالله الزنجاني	ايران	٧٨	» اوستروب	الدانيمارك
٦٠	السيد عباس اقبال	«	٧٩	» موجيك	فينا
٦١	» مارسيه	تونس	٨٠	» ماهلر	بودابست
٦٢	» ماسه	الجزائر	٨١	» كوفالسكي	بولونيا
٦٣	« كي	فاس	٨٢	» كراتشكوفسكي	لينيغراد
٦٤	» دوسو	باريز	٨٣	» موزل	براغ
٦٥	» ماسينيون	«	٨٤	» ما كدونالد	اميركا
٦٦	» بوفا	«	٨٥	» هرزفلد	«
٦٧	» كولان	رباط (مراكش)	٨٦	» كرسيكو	فنلاندا
٦٨	» آسين بلاسيوس	مجريط (اسبانيا)	٨٧	» فيليب حتي	اميركا
٦٩	» لويس	لشبونة (البرتقال)			

الاعضاء الراحلون

عدد	الاسم	محل الاقامة	عدد	الاسم	محل الاقامة
١	الشيخ طاهر الجزائري	دمشق	٨	السيد سليم عنحوري	دمشق
٢	« مسعود الكواكبي	»	٩	« عبد الله رعد	«
٣	السيد مالنجو	«	١٠	السيد أمين الريحاني	بيروت
٤	الشيخ سليم البخاري	«	١١	السيد حسن بيهم	«
٥	السيد الياس قدسي	»	١٢	الأب لويس شيخو	«
٦	« أنيس سلوم	«	١٣	الشيخ عبدالله البستاني	«
٧	« جميل العظم	»	١٤	السيد جبر ضومط	«

عدد	الاسم	محل الاقامة
٥١	الدكتور أمين باشا المعلوف	مصر
٥٢	السيد خليل مطران	〃
٥٣	» عباس محمود العقاد	〃
٥٤	الشيخ محمد الخضر حسين	〃
٥٥	السيد حسن حسني عبد الوهاب	تونس
٥٦	الشيخ عبد الحي الكتاني	فاس
٥٧	الامير شكيب أرسلان	لوزان
٥٨	السيد عبدالعزيز الميمني الراجكوتي	الهند
٥٩	الشيخ أبو عبدالله الزنجاني	ايران
٦٠	السيد عباس اقبال	〃
٦١	» مارسيه	تونس
٦٢	» ماسه	الجزائر
٦٣	〃 كي	فاس
٦٤	» دوسو	باريز
٦٥	» ماسينيون	〃
٦٦	» بوفا	〃
٦٧	» كولان	رباط (مراكش)
٦٨	〃 آسين بلاسيوس	مجريط (اسبانيا)
٦٩	» لويس	لشبونة (البرتقال)
٧٠	السيد هيس	سويسرا
٧١	» هوتسما	هولاندة
٧٢	» أراندونك	〃
٧٣	» كرينكو	انكلترا
٧٤	» بروكامن	المانيا
٧٥	» هارتمان	〃
٧٦	» ميتفوخ	〃
٧٧	» سترستين	السويد
٧٨	» اوستروب	الدانيمارك
٧٩	» موجيك	فينا
٨٠	» ماهلر	بودابست
٨١	» كوفالسكي	بولونيا
٨٢	» كراتشكوفسكي	لينيغراد
٨٣	» موزل	براغ
٨٤	» ما كدونالد	اميركا
٨٥	» هرزفلد	〃
٨٦	» كرسيكو	فلاندا
٨٧	» فيليب حتي	اميركا

الاعضاء الراحلون

عدد	الاسم	محل الاقامة
١	الشيخ طاهر الجزائري	دمشق
٢	〃 مسعود الكواكبي	»
٣	السيد مالنجو	〃
٤	الشيخ سليم البخاري	〃
٥	السيد الياس قدسي	»
٦	〃 أنيس سلوم	〃
٧	〃 جميل العظم	»
٨	السيد سليم عنحوري	دمشق
٩	〃 عبد الله رعد	〃
١٠	السيد أمين الريحاني	بيروت
١١	السيد حسن بيهم	»
١٢	الأب لويس شيخو	»
١٣	الشيخ عبدالله البستاني	»
١٤	السيد جبر ضومط	»

عدد	الاسم	محل الاقامة
١٥	السيد عبد الباسط فتح الله	بيروت
١٦	السيد جرجي بني	طرابلس الشام
١٧	الدكتور صالح قنباز	حماة
١٨	الاب جرجس شلحت	حلب
١٩	السيد جرجس منش	»
٢٠	السيد قسطاكي حمصي	»
٢١	الشيخ كامل الغزي	»
٢٢	السيد ميخائيل الصقال	»
٢٣	الشيخ خليل الخالدي	القدس
٢٤	السيد نخلة زريق	«
٢٥	الشيخ سعيد الكرمي	طول كرم
٢٦	الشيخ جميل صدقي الزهاوي	بغداد
٢٧	الشيخ محمود شكري الآلوسي	»
٢٨	الشيخ احمد الاسكندري	مصر
٢٩	احمد زكي باشا	»
٣٠	احمد شوقي بك	»
٣١	السيد أسعد خليل داغر	»
٣٢	حافظ ابراهيم بك	»
٣٣	الشيخ محمد رشيد رضا	»
٣٤	السيد مصطفى صادق الرافعي	»
٣٥	أحمد كمال باشا	»
٣٦	أحمد تيمور باشا	»
٣٧	السيد مصطفى لطفي المنفلوطي	»
٣٨	الدكتور يعقوب صروف	»
٣٩	السيد اوجينيو غريفيني	مصر
٤٠	« رفيق العظم	»
٤١	الشيخ محمد بن أبي شنب	الجزائر
٤٢	السيد رينه باسه	»
٤٣	السيد ميشو بللير	طنجة
٤٤	السيد زكي مغامز	الاستانة
٤٥	الحكيم محمد أجمل خان	الهند
٤٦	السيد فران	باريز
٤٧	« كليمان هوار	»
٤٨	السيد جويدي	ايطاليا
٤٩	السيد نلينو	»
٥٠	السيد هومل	المانيا
٥١	السيد ساخاو	»
٥٢	السيد هوروفيتز	»
٥٣	السيد مرتين هارتمان	»
٥٤	السيد مونته	سويسرا
٥٥	السيد سنوك هورغرنيه	هولاندة
٥٦	السيد مرجليوث	انكلترا
٥٧	السيد بفن	»
٥٨	« براون	»
٥٩	السيد بول	الدانيمارك
٦٠	السيد بدرسن	»
٦١	السيد اغناطيوس غولدصيهر	بودابست
٦٢	الدكتور سعيد أبو جمرة	البرازيل

خزائن الكتب العربية في الخافقين

هذا سفر عظيم عني الأستاذ الفيكنت فيليب دي طرّازي أحد أعضاء المجمع العلمي العربي بتأليفه منذ أكثر من خمسين سنة فجاء في أزيد من ألف وثلاثمائة صفحة كبيرة ، وهو يعمل فيه منذ عشر سنين ليعده للنشر ، وقد ضمنه أبحاثاً مشبعة عن خزائن الكتب العربية قديمها وحديثها ، وذكر أخبار مؤسسيها ومعزّزيها والعاملين فيها في أربعة أقطار المعمورة .

هذا كتاب فريد في بابهِ مبتكر في موضوعه لا أعلم أديباً من أدباء العرب ومؤرخيهم سبق إلى تأليف مثله ، فصنف مؤلفاً مفصلاً عن خزائننا العربية وعن مؤسسيها ومحتوياتها وعما آل اليه أمرها . ويظهر لي من لامحته أنه منطوٍ على خرائد وشوارد وعلى طرائف ولطائف ، ولقد طالع زهاء سبعمائة كتاب من مؤلفات الأوائل والأواخر ، فغربلها وانتخلها حتى صفى منها ما صفى كما يشاهد حقيقة الأمر في الهوامش التي علقها على الكتاب من بدايته إلى خاتمته . وقد سدد به ثلمةً فوهاء ، في التاريخ والأدب معاً . وانا توخيت في هذه العجالة أن أطلع أبناء الضاد على ما ملكوا في سالف الأحقاب وعلى ما يملكون اليوم من الكنوز العلمية الغالية الأثمان .

* * *

دعا المؤلف كتابه : « خزائن الكتب العربية في الخافقين » . وضمنه ١٨ باباً . قد يكون كل باب من أبوابه الواسعة كتاباً قائماً برأسه .

فالباب الأول انطوى على مقدمة وسبعة فصول ذكر المؤلف في الفصل الأول خلاصة علوم العرب في الجاهلية وصدر الإسلام ، فوصف وصفاً دقيقاً حفظهم وتدوينهم وخطوطهم وأنديتهم ومجالسهم وأسواقهم الأدبية واستفحال دولتهم .

وتبسط في الفصل الثاني في وصف القرآن الكريم وتأثيره ، واجماع الملوك

والأقطاب على تكريمه وتعظيمه · وأورد خلاصة ما كتبه عنه علماء النصارى · وعدد المتاحف التي انطوت على أقدم الكتب القرآنية وأثمنها وأجملها وأغربها ·

وتكلم في الفصل الثالث عن حالة البلاد الشرقية قبل الفتح العربي ·

وخصص الفصل الرابع بثقافة شعوب البلاد التي فتحها العرب ولغاتهم ومدارسهم وكتبهم وخزائنهم وعدد في الفصل الخامس نقول العرب عن العلوم الدخيلة منذ عهد أمير المؤمنين عبد الله المأمون العباسي فصاعداً

وبحث في الفصل السادس مصادر العلوم الدخيلة ومشاهير نقلتها عن اللغات الهندية والفارسية واليونانية والسريانية والعبرية وغيرها · وانتقل إلى ذكر آل بختيشوع الذين كانت لهم مكانة عظيمة في بلاط الخلفاء العباسيين خلال ثلاثة قرون · ولم يغمض عن ذكر من جاراهم في هذا الميدان كأبي قرة وابن ماسويه والكندي وحنين بن اسحق وهلم جراً ، واتخذ خاتمة لهذا الفصل كلمة اثبتها في كتابي «القديم والحديث» عنوانها «فضل نقلة علوم الأعاجم» ·

وختم هذا الباب بفصل سابع وصف فيه عصر النهضة العربية الذهبي · فاسترسل في ذكر ثقافة العرب وترقي العلوم بين ظهرانيهم وتأسيسهم المدارس والمراصد والمستشفيات والمتاحف · ونوه بمبالغة الخلفاء في تكريم العلماء والأدباء وعدد مشاهير الكتبة في تلك الحقبة المباركة ·

هـذا هو الباب الأول ، وقد أفرغه المؤلف الفاضل في أسلوب لذيذ جذاب لا يكاد يطالع القارئ فصلاً من فصوله إلا ازداد رغبة في مطالعة بقيته ، ثم سرد المؤلف في الباب الثاني أخبار تكوين الخزائن العربية وانتشارها واندثارها ، وأشار الى حرص العرب الأقدمين على تدوين آثارهم وأخبارهم ، وتسابقهم في اقتناء المخطوطات وجمعها ، وتنافس أدبائهم وخطاطيهم ومجلديهم في تعزيز الخزائن العامة والخاصة ، وأثبت أن المؤرخين لم يتصدّوا لنشر كتاب خصوصيّ جامع يضمنونه أخبار الكتب العربية سابقًا وحاضراً ·

وانتقل المؤلف الى الباب الثالث بعدّد أخبار الخزائن الإسلامية العامة ، وقد بلغ عددها في كتابه ٢٩٥ خزانة خصص لها ٣٣ فصلاً ، فذكر خزائن بغداد والبصرة وكربلا والنجف والموصل واربيل وماردين وميافارقين وآمد وحلب وحماة والمعرّة وكفرطاب . ثم أحصى خزائن دمشق وطرابلس الشام وفلسطين وشرق الأردن . وانتقل الى البلاد العربية فوصف خزائن مكة المكرمة واليمن والحجاز والحويزة . ثم راح إلى بلاد فارس فكتب عن خزائن مرو ومراغة وشيراز وجنذة وخراسان وفيروزاباد والريّ ونيسابور وطوس وازدشير وسمرقند واصبهان وخوارزم وهمذان وهراة وبخارة. ثم تكلم عن الخزائن العربية في الهند وغيرها .

وتبسط المؤلف في ذكر دور كتب القاهرة والاسكندرية وسائر الأقاليم المصرية خزانة خزانة قديمةً وحديثةً . وانتقل الى شمال افريقية فسرد أخبار خزائن تونس والقيروان والجزائر وفاس ومراكش ومكناس وسبتة والرباط . ولم يفُتْه وصف خزائن الأندلس والإلماع الى حضارتها العربية وسابق عزها . وختم هذا الباب بذكر المخطوطات العربية في دور كتب الاستانة والروملي والاناضول الخ . ولم يغمض المؤلف في كل من هذه الفصول الممتعة عن ذكر ثروة تلك الخزائن العامة وذخائرها ومعارضها ومطبوعاتها ومديريها وخزنتها واعتناء الملوك والامراء والادباء بتعزيزها .

وفي الباب الرابع وصف المؤلف الخزانة العربية الخاصة التي أسسها افراد المسلمين وأدباؤهم ومشايخهم وعلماؤهم في مختلف الأنحاء ، فتوسع في وصفها توسعه في وصف الخزانة الاسلامية العامة ومنها خزانة أنشئت في مدن غير المدن التي أحصاها المؤلف في سياق كلامه عن الخزائن العامة . نذكر منها خزائن ببيروت وجبل لبنان وجبل عامل ودوما ونابلس ويافا وعكا وخليل الرحمان الخ . ثم عدد الخزائن الخاصة في المغرب الاقصى وصحارى افريقية ، فكان مجموع ما أحصاه

٣٥٩ خزانة اسلامية خصوصية وصف كلا منها وصفاً جيداً ، وذكر أخبار مؤسسيها وأحصى عدد مجلداتها يوم عزها وما حل بها من الرزايا على كرور الازمنة ٠

وأخذ المؤلف بعد وصفه الخزائن الاسلامية عامة وخاصة يعدد في الباب الخامس أهم الخزائن النصرانية العربية في بلاد الشرق ٠ فوصف مجموعات النساطرة واليعاقبة والملكيين والموارنة والاقباط ومجموعات السريان والكلدان والارمن والبرتستان ، وقد اناف عددها على ٢٠٠ خزانة أنشئت في القصور والاديار والمدارس وبيوت الافراد في مدن سورية ولبنان وفلسطين وما بين النهرين والعراق ومصر وشمال افريقية ٠ فهناك خزائن دمشق وصيدنايا وافاميا وانطاكية وجبل سمعان ، وخزائن بيروت وبتدين والشرفة وبكركي والبلمند ، فخزائن الكرمل والقبر المقدس ودير مارسابا ودير مار مرقس ودير مار يعقوب فخزائن الاقباط بالاسكندرية والقاهرة وأديار وادي النطرون وطورسيناء ، فخزائن الرها وآمد وملطية وماردين ودير الزعفران ودارا ونصيبين وطور عبدين وسعرت فخزائن المدائن ودير قني وبغداد واورمية وقود شانيس وتكريت والموصل ودير الشيخ متى ودير الربان هرمزد ، وخزائن تونس والجزائر والمغرب الاقصى وطرابلس الغرب الخ ٠ وقد جرى المؤلف في وصف هذه الخزائن جمعاء مجراه في وصف الخزائن العربية الاسلامية ٠

وتطرق المؤلف في الباب السادس لوصف خزائن بيروت العامة كخزائن الاتحاد والترقي والحرب العظمى والمجلس البلدي والقضاة وغرف القراءة ونقابة الصحافة ونقابة المحامين وغيرها ٠

واسترسل في الباب السابع في وصف الخزائن العربية باوربا فذكر اهتمام البابوات والملوك بتعزيز اللغة العربية بمطابعهم ، وتعليمهم اياها في جامعاتهم ، وشرائهم المخطوطات العربية أحيانا بما يوازي ثقلها ذهباً ٠ وتجهيزهم منها مجموعات نفيسة تستحق الاعتبار ، واعتنائهم بادخار الكتب العربية اعتناءً جزيلاً ٠ وأيد بيناته بما أثبته أنا في كتابي «خطط الشام» عن كيفية تسرب مخطوطات بلادنا الى

دول أوربا على يد فريق ممن كان يرجع اليهم أمر المدارس والجوامع ، فخانوا عهود الأمانة واستحلوا بيع ماتحت ايديهم بأبخس الأثمان ·

ثم وصف المؤلف معارض المخطوطات العربية النفيسة في دور كتب أوربا ونوه بالثروة العربية في خزائن عواصمها ولا سيما دار كتب الاسكوريال باسبانيا ودار كتب الامبروسيانية في ميلانو ·

وأحصى كذلك احدى عشرة خزانة عربية أنشأها فريق من السوريين في أوربا كمجموعة رشيد الدحداح وخليل غانم وجان دي طرازي بباريس وعبد الله مراش في مرسيليا وحبيب زيات في نيس ، ولويس صابونجي ورزق الله حسون بلندن · وروفائيل جروة بالبندقية الخ · وعدد كذلك عشرين خزانة أنشأها كبار المستشرقين في برلين وباريس ورومة وميلانو وبالرمو واسوج ولشبونة ومدريد ، وأحصى فهارس المؤلفات العربية في دور كتب اوربا وذكر عدد مخطوطات كلّ منها ·

وحصر المؤلف بحثه في الباب الثامن بذكر الخزائن العربية في أميركا ، فقال بأن الكتب العربية في خزانة نيويورك تعد أغنى دار للكتب العربية في العالم الجديد على الاطلاق لاتضاهيها في الشرق خزانة سوى دار الكتب المصرية ودار الكتب الازهرية بالقاهرة وخزانة الآباء اليسوعيين ببيروت ·

وخص الباب التاسع بالخزائن الاسرائيلية ، فكشف النقاب عن جهود اليهود في خدمة اللغة العربية على عهد الخلفاء العباسيين والفاطميين · وسرد أخبار مشاهير علمائهم في العراق ومصر وفارس والاندلس· ثم تطرق لذكر خزائنهم سابقاً ولاحقاً خزانة خزانة · ووصف دار كتب الامة اليهودية والجامعة العبرية في القدس فصرح باحتوائها على أكثر من ٣٥٠٠٠٠ مجلد بينها ٥٠٠٠٠ مجلد ونيف تتضمن ابحاثاً شرقية ·

وبعد مافرغ المؤلف من تعداد الخزائن العربية اسلامية ونصرانية واسرائيلية في مختلف الاقطار أخذ يدوّن في الباب العاشر أخبار غلاة الكتب وهواتها من

المسلمين . فذكر منهم ملوكاً وأمراء ووزراء وعلماء ووجهاء أربى عددهم على السبعين وكلهم رفعوا ألوية المعارف بما اكتنزوه من الاسفار العربية ، فحرصوا عليها حرصهم على أغلى الدرر واتخذوها في قصورهم وأنديتهم ومنازلهم من أحاسن الزينة وافخرها ، وأضاف المؤلف إلى ذلك نتفاً من طرائفهم وغرائبهم ، ولخص تراجمهم واحداً فواحداً وفقاً للتسلسل التاريخي بدءاً من القرن الثاني حتى القرن الرابع عشر للهجرة .

وانتقل المؤلف إلى الباب الحادي عشر فسرد فيه تراجم غلاة الكتب وهواتها من المسيحيين قديماً وحديثاً . فعدّد منهم زهاء العشرين ممن كلفوا بجمع المخطوطات منذ صدر الاسلام حتى زماننا الحاضر ، وأتى كذلك على طُرَفٍ من أخبارهم ونوادرهم .

ولما انتهى المؤلف الى الباب الثاني عشر اتسع في الكلام عن خزنة دور الكتب منذ عصر الارتقاء العربي فذكر مناقبهم وثقافتهم وخدمتهم للمعاهد الكتابية وحصر تراجمهم في عشرة فصول مبتدئاً بخزنة الكتب في سورية ولبنان فالعراق ففارس فمصر فشمال إفريقية فالاندلس فاليمن فالحجاز حتى الهند . فكان مجموع اولئك المشاهير الذين قاموا على الخزائن في تلك الأمصار أكثر من سبعين خازناً .

وأردف هذا الباب بباب ثالث عشر تحدّث فيه عن مشاهير الخزَنة الشرقيين في أوربا وأميركا ، فصرّح بتفوقهم في المعارف ، وأشار الى تعزيزهم مقام الشرق في الغرب ، وقال انهم برهنوا للعالم أجمع على أن الشرقيّ لا يقل عن الغربيّ جدارةً وكفاءةً . وقد أحصى من أولئك الجهابذة عشرة خزَنة : ثلاثة في الخزانة الواتكانية وخازنين في الاسكوريال ومدريد باسبانيا ، وخازنين في المتحف البريطاني بلندن ، وخازنين في القسطنطينية ، وخازناً في مكتبة برينستون بأميركا الشمالية .

وبحث في الباب الرابع عشر عن المخطوطات العربية والعاملين فيها ، فأفرد لذلك ١٥ فصلاً وهي ١ً : مزايا المخطوطات العربية ونفائسها ٢ً : الوراقة والوراقين

٣ و٤ : نوابغ الخطاطين والخطاطات وغرائبهم ٥ : النساخة والطباعة وبواكير المطابع والمطبوعات العربية شرقاً وغرباً ٦ و ٧ : مشاهير النساخ المسلمين والنصارى قديمًا وحديثًا ٨ : الضبط والإتقان في نساخة الكتب ٩ : التنافس في تأليف الكتب والاستكثار من نسخها تعميماً للمعارف ١٠ : صناعة تجليد الكتب وانتقالها الى أوربا على يد العرب ١١ : أشهر أسواق الكتب في البلدان العربية ١٢ : تجار الكتب ودلالوها وسماسرتها وكساد تجارتها ١٣ : عشاق المخطوطات وصرعى الكتب ١٤ : سخط أحبار النصارى على مرّاقي مخطوطاتهم ١٥ : اعارة الكتب واستعارتها وأقوال الشعراء فيها . وضمن المؤلف هذه الفصول الخمسة عشر فروعًا شتى بلغت ٨٣ فرعًا ، وانطوت تلك الفروع على موضوعات نادرة لم يتعرض لها أحد قبله .

وخصص الباب الخامس عشر بالمخطوطات العربية المصورة فوصفها في ١٨ فصلاً افتتحها بنظرة اجمالية في فن التصوير عند المسلمين وفي نشأته عند العرب . ثم أورد أسماء المخطوطات العربية المصورة هكذا : مخطوطات الكيميا المصورة . فمخطوطات الطب فالأدب فالتاريخ والرحلات فالعلوم الحربية والبحرية فالعلوم الصناعية والميكانيكية فالجغرافية فالدين الاسلامي فالدين المسيحي فالنجامة والعلوم السحرية فالهندسة فاللغة فالنبات فالفلك فالفروسية والصيد والبيطرة فالموسيقى وعلى هذا الاسلوب لم يترك المؤلف مخطوطاً عربيًا مزدانًا بالصور إلا تحرى استقصاء البحث عنه في خزائن الشرق والغرب فوصفه وصفًا مشبعًا ، ونوّه بمزاياه وأشار الى ما تفرّد به والى مكان وجوده .

واسترسل في الباب السادس عشر في تعداد الرزايا التي حلت بالكتب وخزائنها الشهيرة منذ العصور الخوالي حتى اليوم ، وخصص لها أربعين فصلاً سردها حسب تواريخها على ما يلي ١ : اجهاز البرابرة والملوك القدماء على الكتب ٢ : حريق خزائن الاسكندرية وروما والقسطنطينية ٣ : إحراق كتب الآراميين

والعبرانيين والوثنيين والمجوس ٤ : اتلاف الكتب النصرانية في العصور الغابرة ٥ : محو كتب الفرس واحراق مصاحف القرآن الكريم ٦ : احراق الفرق الاسلامية كتب بعضها بعضاً ٧ و ٨ : ذكر من غسل كتبه أو دفنها ٩ : احراق بعض المسلمين خزائنهم ١٠ : اغراق الخزائن خاصة ١١ : رزايا كتب بغداد والبصرة ١٢ : اتيان الحاكم بأمر الله على كتب النصارى واليهود ١٣ : اتلاف خزائن الفاطميين في القاهرة ١٤ : احراق خزانة سيف الدولة في حلب ١٥ : نكبات الجامع الأموي ١٦ : اتلاف الافرنج عدة خزائن في غزواتهم الصليبية ١٧ : احراق مصاحف وخزائن جمة في بلاد فارس ١٨ : انقضاض صاعقة على كتب المسجد الحرام بمكة ١٩ : احراق اسمعيل شاه مصاحف أهل السنة وكتبهم ٢٠ : اجتراف السيول كتب بغداد ومكة والموصل ٢١ : احراق ابن الابار البلنسي واحراق كتبه معه ٢٢ : اكتساح المغول خزائن ما بين النهرين والعراق والشام وتركستان والهند ٢٣ : بيع مخطوطات الخزانة الفاضلية بارغفة خبز ٢٤ : احراق كتب ابن حزم الأندلسي ٢٥ : فواجع خزائن الأندلس والاسكوريال ٢٦ : غارات تيمورلنك على خزائن بلاد الهند وفارس والعرب ٢٧ : قضاء الاسبانيين على كتب الجامع الأعظم بتونس ٢٨ : احراق مطران غوا البرتوغالي كتب النساطرة الملباريين ٢٩ : مصائب مكتبات انكلترا ٣٠ : اغراق مخطوطات جمة في الأنهار والبحار ٣١ : غارة الجزار على كتب جبل عامل ٣٢ : غائلة مخطوطات صيدنايا ٣٣ : احراق الفلاحين بمصر مدارج قديمة ليشموا طيب رائحتها ٣٤ : تبديد كتب جامع ازبك بن ططخ بين الانقاض ٣٥ : رزايا خزائن لبنان وسورية ٣٦ : جوائح خزائن طور عبدين وما بين النهرين وسعرت واتخاذ رقوق مخطوطاتها أحذية ٣٧ : مصائب خزائن كريمون وتورينو بايطاليا ٣٨ : فظائع الشيوعيين في خزائن اسبانيا ٣٩ : احتراق خزانة مونتال بانكلترا ٤٠ : الاجهاز على الكتب ودورها أثناء الحرب العظمى وبعدها في النمسا وفرنسا والمانيا وبلجيكا وتركيا وروسيا وبولونيا والبلقان وغيرها .

واشتملت هذه الفصول الأربعون على نحو ٢٥٠ فاجعة من الوف الفواجع التي الت بالكتب ، وقد وصفها المؤلف وصفاً مؤثراً وأحاط بتفاصيلها من جميع الأطراف ، ولم يشأ أن يتوسع أكثر من ذلك في سرد أمثال تلك الفواجع حباً بالاختصار ·

ولم يغفل المؤلف أيضاً عن ذكر بعض الكوارث الأدبية التي حلت بالكتب ، وتكلم عنها بالتفصيل بما أوتيه من علم وطول نفس في البحث ، وبما تهيأ له من الخبرة الطويلة في إدارة دار الكتب اللبنانية مدة عشرين سنة · فأفرز الباب السابع عشر لسرد تلك الكوارث المؤلمة فأجاد وأفاد · وقد حدثنا في الفصل الأول عن أعداء الكتب والخزائن ، وذكر في الفصل الثاني لصوص الكتب ، وأنحى باللائمة في الفصل الثالث على العابثين بالكتب المخطوطة · وذمّ في الفصل الرابع تصرف الرهبان في مجموعات الأديار · واستقبح في الفصل الخامس قلة الأمانة في حفظ الكتب · واستهجن في الفصل السادس احتيال بعضهم في حرفة الأدب · وأبدى في الفصل السابع عوامل تأسفه لما فقده عالم الأدب بسبب ذلك من الكنوز ·

ولهذا الباب كسائر أبواب الكتاب فروع جمة فصل فيها المؤلف ما انتاب الكتب ودورها من الكوارث · فروى كثيراً من حوادث لصوص الخزائن وخونتها ، وقرّع تقريعاً أليماً من يحرّف المخطوطات أو يعبث فيها أو ينتحلها لنفسه · وعنف تعنيفاً مراً من يتغاضى عن صيانة الكتب أو يتهاون في نظافتها · وقبح خصوصاً من يختلق المشاكل ويلفق الأكاذيب لتنكيس رايات الأدب ومناهضة المجاهدين في تعزيزها ·

وقد ألحق المؤلف كتابه هذا المبتكر بباب أخير هو الباب الثامن عشر فشرح فيه فصلاً فصلاً أحوال دار الكتب اللبنانية ببيروت · وأعرب عن

جهوده المتواصلة في تكوينها وتجهيزها وادارتها ، وتكلم عن تسجيله إياهـا باسم الحكومة اللبنانية ، ووصف رحلاته الى مختلف البلاد حباً برقيها واعلاء شأنها ، وذكر انشاءه فيها معرضاً فنياً للتحف والمخطوطات القديمة ، وألمع الى اهتمامه بتصوير ٦٠ صورة تمثل كبار حملة الأقلام وأرباب الفن من المسلمين والمسيحيين في بيروت ولبنان . ثم ذكر انشاءه في سبيلها كتاباً مبتكراً عنوانه « ارشاد الأعارب الى تنسيق الكتب في المكاتب » . وأضاف الى ذلك فصلاً فيمن تبرعوا لتلك الدار وفي كبار زوارها وفي كتابها الذهبي . وألمع باحصاءات شتى الى ادارتها وأشار الى بنايتها الجديدة وافتتاحها رسمياً . واختتم الكتاب بفصل ذكر فيه اعتزاله منصب ادارة المكتبة وأقوال الجرائد في ذلك .

هذا هو الكتاب الفريد الذي جدَّ صديقي العالم طرَّازي في جمعه ووضعه . وأنفق الدنانير في انشائه ، وقتل الليالي في تنسيقه وضبطه . وهو بلا ريب ثمرة ناضجة من ثمرات أبحاثه الدقيقة ومطالعاته المستمرة مدة تنيف على نصف قرن . ولم يتوخَّ المؤلف من تعبه هذا كله الا أن يخدم العلم ويعرّف أبناء الضاد ثروةَ الآباء والأجداد . جزاه الله عن عمله أفضل جزاء ومدَّ له في الحياة ليرى كتابه وقد أخرج للناس يجنون فوائده .

محمد كرد علي

أسماء منتخبة لمسميات حديثة

(١) القِنْعُ

قال في اللسان القِنع والقِناع [1] الطبقُ من عسيب النخل يوضع فيه الطعام والجمع أقناع وأقنعة وفي حديث الربيع بنت مُعوِّذ قالت أتيت النبيَّ (ص) بقناع من رطب واجرٍ من زغب قال القنع والقِناع الطبق الذي يؤكل عليه وقال غيره ويجعل فيه الفاكهة وفي النهاية أنه صلى الله عليه وسلم أتي بقناع جرد. الجرد صغار القثاء وقيل الرمان ايضاً ويجمع على أجرٍ وفي النهاية أيضاً من حديث عائشة أنه كان ليهدى لنا القناع فيه كعب من اهالة فنفرح به

وحكى ابن برى عن ابن خالويه القناع طبق الفاكهة خاصة وقيل القنع الطبق الذي يؤكل فيه الفاكهة وغيرها. فيصح اطلاق القنع أو القناع على الطبق المتخذ للفاكهة يكون على موائد الطعام واكثر ما يكون من عسب النخل أو من قصبٍ أو من خيزران

(٢) الخِفاء

في اللسان . والخفاء رداء تلبسه العروس على ثوبها فتخفيه به وكل ماستر شيئاً فهو خفاء له والأخفية الأكسية الواحد خفاء . وفي التاج وقال الليث هو رداء تلبسه المرأة فوق ثيابها وكل شيءٍ غطيت به شيئاً من كساء ونحوه فهو خفاؤه يصح اطلاق الخفاء على الثوب الذي تلبسه المرأةفوق ثيابها وهو المسمى بالكبوت

(١) ويرى المجمع الاكتفاء بقنع وليترك القناع لما تقنع به المرأة رأسها.

(٣) المِيدَع

في اللسان · المِيدَع كل ثوب جعلته ميدعاً لثوب جديد تُودِّعه به أي تصونه ويقال مِيدَاعة · وجمع الميدع موادع · واصله الواو لأنك ودَّعت به ثوبك أي رفهته به · وقال الأصمعي المِيدع الثوب الذي تبتذله وتودِّع به ثياب الحقوق ليوم الحفل وانما يتخذ المِيدعُ ليودَّعَ به المصونُ وأصله من تودَّع فلان فلانا اذا ابتذله في حاجة وتودَّع ثياب صونه اذا ابتذلها

وفي النهاية التوديع ان تجعل ثوباً وقايةً لثوبٍ آخر او تجعله ايضاً في صوان يصونه به

يصح اطلاقه على برنس المسافر

يصون المسافر ثوبَه من غبار السفر ودعكته بثوب آخر يلبسه فوقه ليقيه به ويسمى البرْنس وبرنس السفر وهو كثير الاستعمال في هذا العصر فيصح أن يطلق عليه اسم الميدع بهذا الاعتبار

(٤) السَفَنُ

جاء في اللسان قال أبو حنيفة السَفَنُ قطعة خشناء من جلد ضب أو جلد سمكة يُسحجُ بها القدْح حتى تذهب عنه آثار المبراة وقيل السَفَن جلد السمك الذي تحك به السياط والقدْحان والسهام والصحاف ويكون على قائم السيف قال الأعشى

وفي كل عام له غزوة تحكُّ الدوابرَ حكَّ السَّفَنْ

وقال الليث وقد يجعل من الحديد ما يُسفَن به الخشب أي يحك حتى يلين والظاهر ان اصل المعنى القشر

وقال الراغب السَّفْنُ نحت ظاهر الشيء كسَفْن الجلد والعود

وفي الأساس سفن العودَ قشرَهُ وبَرَى العودَ بالسَّفَن وهي مبراة السهام قلت التسكين للمصدر والتحريك للاسم

يصح اطلاقه على الورق الخشن في أحد وجهيه بسبب ما يلصق عليه من فتات الزجاج ونحوه ويستعمل لصقل وجه الخشب وما دهن وصبغ من ألواح ونحوه لتملاسّ وتزول خشونتها ويسمى ورق البَرْداخ وورق الزجاج وكما يقال في الفعل بَرْدَخه ينبغي أن يقال سَفَنَه

(٥) الحَسَك

جاء في التاج بعد أن قال أنه نبت «وعند ورقه شوك ملزز صعب ذو ثلاث شعب ويعمل على مثال شوكه اداة للحرب من حديد او قصب فيلقى حول العسكر وربما اتخذ من خشب فنصب حوله . زاد الصاغاني . فتبثُ في مذاهب الخيل لتنشب في حوافرها

يصح هذا لما يسمونه الأسلاك الشائكة وهي التي يستعملونها في الحرب وفي السياج وهي كما ترى ينطبق عليها وصف الائمة للحسك إلا أنهـا كانت تلقى منثورة في الحرب وهذه تنصب منظومة بأسلاكها للحرب وللسياج

(٦) الجناح

قال الراغب الأصفهاني في مفرداته وسمي جانبا الشيء جناحيه فقيل جناحا السفينة وجناحا العسكر وجناحا الوادي وجناحا الإنسان لجانبيه

وفي التاج الجناح الكنف والناحية والجناح الطائفة من الشيء والروشن

يصح اطلاقها على الجزء المستقل من أجزاء طبقة البيت

وهذا الاستعمال شائع ذائع في عامة البلاد العربية فيما أحسب ولكني رأيت مجمع اللغة العربية الملكي قد اختار للجزء المستقل من الطبقة في البيت اسم الشقة

لأنها متعارفة في مصر لهذا المعنى لكنها متعارفة باسم الجناح ايضاً كما رأيت في عامة بلاد العرب على ان اصل معنى الشق في اللغة الصدع والخَرْم الواقع في الشيء يقال شققته بنصفين ومن هنا اطلق الشقّ على النصف وفي اللسان الشق والشِقّة بالكسر نصف الشيء اذا شق واصل معنى جنح مالَ الى جانب والقسم المستقل من أجزاء الطبقة ناحية او طائفة منها مالت في وضعها الى جانب من جوانب الطبقة فيكون اسم الجناح اولى به

(٧) الحيفة او الطريدة

قال في اللسان وتحيَّفت الشيء مثل تحوّفته اذا تنقصته من حافاته . والحيفة الطريدة لأنها تحيَّف ما يزيد فتنقصه حكاه أبو حنيفة وقال في مادة (طرد) والطريدة قصبة فيها حُزَّة توضع على المغازل والعود والقِداح فتنحت عليها وتبرى بها ، أبو الهيثم الطريدة السَّفَن وهي قصبة تُجوَّف ثم يُفْغَر منها مواضع (وفي التاج بنقر) فيتبع فيها جذب السهم وقال ابو حنيفة الطريدة قطعة عود صغيرة في هيئة الميزاب كأنها نصف قصبة سعتها بقدر ما يلزم القوس والسهم .

وفي التاج (و) الحِيفة (خشبة) على (مثال نصف قصبة في ظهر قصبة تبرى بها السهام والقسي) وهي الطريدة سميت حيفة لأنها تحيف ما يزيد فتنقصه

وقال في مادة (طرد) نحو ما جاء في اللسان

يصح ان تطلق الحيفةُ على الاداة التي تبرى فيها الأقلام الرصاصية بادارتها فيها فيخرج القلم وقد حيفت جوانبه وُبرِيَ َبرْيَ القِداح وأنْ تطلق الطريدة على ما يسمونه بالخراَطة عند النجارين وهي التي ُيبرى بها العود بادارته على حدّ شفرة حادة تأخذ من حافاته وهي معروفة في بلاد الشام كثيراً ورأيت مجمع اللغة العربية الملكي وضع المبراة لاداة بري الأقلام المعروفة بالمطوه *Canif* والبرّاءة للاداة التي تبرى بها أقلام الرصاص المعروفة بالبرّاية

والوضعان المذكوران متقاربا اللفظين مع تقارب معنييهما .

ولكني ارى أن الحيفة اخف لفظاً فلندع المبراة لما وضعها له مجمع مصر ولنطلق الحيفة على المعنى الثاني تقليلاً للاشتراك ودفعاً للاشتباه

(٨) الدَسْكَرَة

قال في اللسان الدسكرة بناء كالقصر حوله بيوت الأعاجم يكون فيها الشراب والملاهي قال الاخطل

في قباب عند دَسكرة حولها الزيتون قد ينعا

(وقيل هذا البيت لأبي دهبل وقيل ليزيد وقيل للأحوص) وكيف كان فهو يذكر منزلاً في ضاحية دمشق بين الرياض والغياض وفي التاج « الدسكرة بناء كالقصر حوله بيوت ومنازل للخدم والحشم كذا في المغيث في غريب الحديث لأبي موسى قال الليث يكون للملوك ومثله في جامع القزاز ج دساكر وفي النهاية : الدَسكرَةُ بناء على هيئة القصر فيه منازل وبيوت للخدم والحشم وليست بعربية محضة .

ويصح أن تطلق على ما يسمونه بالفيلا . والدسكرة اذا صح انها غير عربية فهي معربة في الزمن الاول

وقد كان اطلق مجمع اللغة العربية الملكي على الفيلا الطزر بعد أن ذكر ما جاء في اللسان في مادة طزر من انه البيت الصيفي وفي مادة طرز انه بيت الى الطول وانه البيت الصيفي وانه معرب تِرْز

فكان لدينا اذاً بمعنى البيت الصيفي كلمتان [طَزَر] بتقديم الزاي على الراء وزان سبب [وطِرْز] بتقديم الراء على الزاي وزان حِمل فهل هما لغتان أو احداهما محرفة من الاخرى ، قالت مجلة مجمع اللغة العربية الملكي في الجزء الثاني ص ٦٧

(وربما كانت الطِرْز محرفة عن الطَزَر لاننا اذا رجعنا الى عبارة التاج في تفسير الطَزَر وعبارة المخصص في تفسير الطرْز رأينا تماثلا تامًا في التعبير مما يدل على نقل المتأخر عن المتقدم فصاحب التاج يقول الطزَر بالتحريك البيت الصيفي بلغة بعضهم وصاحب المخصص يقول الطرز البيت الصيفي بلغة بعضهم ثم بنى المجمع على ترجيح هذا القول ووضع الطزَر للبيت الصيفي وهو ما يعرف بالڤيلا ولا يخفى أن صاحب التاج متأخر عن صاحب المخصص وصاحب التاج نقل عبارة الازهري انه معرب عن الطِرْز وانه هو البيت الصيفي وانه بيت الى الطول كل ذلك في مادة طرز بتقديم الراء على الزاي فكيف بعد هذا صح لنا أن نجعل نقل المتأخر (صاحب التاج) انما كان بتقديم الزاي على الراء ونحكم على وقوع الغلط في عبارة صاحب المخصص [إذ المفهوم من كلام المجلة والمجمع انه نقلها مصححةً بالطَّزَر] ان ذلك أراه موضع نظر وبحث ، والعجب كيف صار المجمع المصري الى اختيار الطزَر بثقلها وما صحبها من التهجان كاد يكون عامًا فيما رأيت ولم يختر الطِرْز وهو يؤدي نفس المعنى المراد وموافق للاصل الفارسي

احمد رضا

——>ooo<——

الراديو وأثره في نشر اللغة

استزارني يوماً احد مديري المدارس فرحب بي وعرّفني بالأفاضل من أساتذة مدرسته • وهناك جرى ذكر اللغة العربية ووجوب العناية بنشر الفصحى بين النشء وتعميم ملكتها في نفوسهم • وأدّى بنا الحديث الى تعداد الوسائل التي يحصل بها ما ذكر • فكان مما اتفقنا عليه أنّ (الراديو) اصبح اليوم أعظم تلك الوسائل أثراً في نشر اللغة : فإن اصغاء الجمهور اليه • واهتمامهم بتفهم أخباره • وتداول تلك الاخبار بينهم يحكيها بعضهم الى بعض ويرويها بعضهم عن بعض • كل ذلك يجعل صورة كلمات اللغة ترسخ في أذهانهم على الوجه الذي سمعوه : فان سمعوا الكلمات صواباً حفظوها ورووها صواباً • وإلا وَعوْها وأدُّوها خطأ •

يسمعون من (الراديو) مثلاً قوله (بقيتْ جيوشُ اليونان وَحدُها تقاتل في تلك المنطقة) فاذا هو يلفظ كلمة (وحدُها) مرفوعةً على ظن أنها صفة للجيوش مع انها دائماً منصوبة على الحال بمنزلة قولنا (منفرداً) • ويسمعونه يقول (أغرقت الطائرات باخرةً حَمولتها خمسة آلاف طن) بفتح حاء (حَمولتها) وهو خطأ صوابه ضمها : إذ أن المراد بها الأَحمال التي تحملها الباخرة • أما الحمولة بفتح الحاء فالدابة تحمل الأحمال •

وقد وافق مدير المدرسة الفاضل على ما كان يدور في المجلس من هذا الحديث ثم أيده بملاحظاته الخاصة التي اعتاد أن يدوّنها عن تلامذته • وقال ان الكثيرين منهم اصبحوا يستعملون من فصيح الكلام وصحيح الاساليب مالم يكونوا يعرفونه لولا اصغاؤهم الى (الراديو) • كما أنهم احياناً يرتكبون اخطاء في نطق كلمات تسرّبت اليهم من فم (الراديو) ذلك المخلوق العجيب الذي اصبحت له اليد الطولى في نشر اللغات • وتصوير مختلف اللهجات

ثم خفَّ المدير الى حيث الطلاب وأتى بواحد منهم وناوله من على المنضدة جريدة يومية وقال له أسمع الاستاذ .

فانبرى الطالب يقرأ علينا بصوتٍ جهير ونبرات متزنة . وكنا نراه إذا اخطأ في نطق كلمةٍ اعتذر بأنه هكذا سمعها من الراديو . وكان مما قرأه علينا من إذاعات الراديو هذه الجملة : (قصفت الطياراتُ المدينةَ بعنفٍ وبقيت النيران مستعرة فيها طيلةَ النهار الى المساء)

ففتح الطالب وهو يقرأ الجملة نون (نَيران) وجعها على وزن حَيران . وكسر ميم (مساء) وجعلها بوزن نِساء . وشدَّد الراء من (مستعرة) وجعلها بوزن (مستمرَّة) فصححنا له خطأه الذي التي تبعته على عاتق الراديو . وقلنا له : النيران مكسورة النون جمع نار كما ان الجيران والفيران أولها مكسور وهما جمع جار وفار . وكذلك (مساء) ميمه مفتوح وكلمة (مستعرة) راؤهـا مخففة على وزن مفتقِرَة : لأنها اسم فاعل من استعرَتْ النار اتقدت . فهو من (افتعل) ومشتق من السعير . ولو كانت (مستعرة) مشددة الراء لكانت من باب (استفعل) وكانت مشتقةً من العرّ (بتشديد الراء) وهو الجرب . ولَفظَ التلميذ كلمة (عَنف) بفتح العين كما سمعها من الفاضل مذيع بيروت . فنصحَ له بعض الحاضرين أن يلفظها بضم العين لا بفتحها فقلتُ له ان الضم هو المشهور بيننا ولكن الفتح جائز كما نصوا عليه .

* * *

ثم انتقل الجدل بين الحاضرين الى كلمتي (طيلة) و (قصف) هل هما فصيحتان فيما يستعملان فيه ؟ وسألوني رأيي في أمرهما فقلت :

عجباً لهذا الحظّ الذي رُزقته كلمة (طِيلة) فان الناس أولعوا بها إلى ما وراء الغاية . فيقولون طيلةَ النهار . وطيلةَ الدهر . أي مدتها الطويلة . وهذا

الاستعمال خطأ او هو على الأقل غيرُ مطابقٍ للاستعمال الفصيح : فان أهل اللسان انما يعرفون (الطيلة) بمعنى العمر لا بمعني طول المدة فاذا أرادوا طول المدة قالوا مثلاً « لا اكلمك طولَ الدهر او طَوالَ الدهر » بفتح الطاء . ويقولون (بتُّ سهران طُول الليل أو طَوال الليل) ولا يقولون (لا اكلمك طيلةَ الدهر) ولا (سهرتُ طيلةَ الليل) واذا اراد البلغاء استعمال كلمة (الطيلة) قالوا هكذا : (أطال الله طِيلةَ فلان) أي أطال الله عُمرَه . فالطيلة اذن انما تستعمل بمعنى العمر .

وأراني جريئًا على القول بأن (الطِيلة) لا يحسن استعمالها في غير المقام الذي استعملها فيه البلغاء وهو مقام الدعاء . فيقول احدنا لأخيه (اطال الله عمرك وفسحَ في طيلتك . أو أمدَّ الله في طِيلتك) ونحو ذلك ولا اظنني سمعتهم يستعملون (الطِيلة) في غير هذا التركيب او ما ضُرب على غراره . فلنا أذن مندوحة عن كلمة (طيلة) بكلمتي (طُول) و (طَوال) .

بقي علينا فعل (قصفتْ الطياراتُ المدينةَ) وهذا الفعل وهو (القصف) بهذا المعنى مما استحدثه أو ولده الراديو وفرضه علينا فرضًا . ولعلنا لم نسمعه الا في هذه الحرب . وفي عهد المذيعين المفوَّهين . وكأنَّ المذيع الأول منهم أراد أن يترجم لنا بالقصف كلمة (*Bombarder*) الإفرنسية فيكون التعبير العربي مشابهًا للتعبير الافرنجي في وَحدة اللفظ بعد ان كانوا يقولون (اطلقت الطيارة القنابلَ) و (ألقت القذائفَ) فاكتفوا بكلمة (قصفت) مكان الكلمتين . ثم انَّ معنى القصف في اللغة الكسر : قصفَ فلانٌ العود كسره وريح قاصف شديدة تقصف الأشجار . فهو فعل يتعدَّى الى مفعول . ثم استعمل فعلُ القصف مجازاً في جلجلة الرعد فيقولون رعدٌ قاصف أي شديد الصوت مجلجل . وقصفَ الرعدُ اشتد صوته . وقد لاحظ القارئ انَّ فعل (قصف) في استعماله المجازي اصبح لازمًا بعد

ان كان متعديا . وربما سأل سائل : ماهي المناسبة بين المعنى الحقيقي وهو الكسر وبين المعنى المجازي وهو اشتداد صوت الرعد ؟؟ المناسبة هي أن المرء وهو يسمع جلجة الرعد يخيل اليه ان شيئاً يتكسر ويتقصف في عنان السماء ومن هذا المعنى المجازي اخذ رجال الإذاعة فعل (قصف) اللازم الدال على اشتداد صوت القنابل الملقاة من الطيارة . لكنهم حوّلوه من اللزوم الى التعدية للمفعول فهم يقولون (قصفت الطيارة المدينةَ) بعد ان ضمنوا فعل (القصف) معنى القذْف والرمي . فتأويل (قصفت) الطيارة المدينة اشتد صوت الطيارة قاذفةً المدينةَ بقنابلها قذفاً له صوت يشبه قصف الرعد في شدته . والتضمين كثير الورود في كلام العرب . وفي القرآن الكريم شواهد كثيرة عليه . فهذا الاستعمال الجديد لفعل (قَصفَ) الذي استحدثه المذيعون نقبله منهم ونشكرهم عليه . لكننا نحتفظ لأنفسنا حق الرجاء لهم في التثبت من بعض الكلمات الأُخرى والرجوع الى المعاجم في ضبطها وليس ذلك عليهم بالأمر العسير كما نلتمس من المذيع الأكبر مذيع لندن خاصةً ان يقتصر في قلقلة الحروف الأخيرة من الكلمات على حروف (قطب جد) الخمسة : فلا يقلقل الميم من كلمة (النظام) ولا اللام من كلمة (القتال) ولا النون من كلمة (الألمان) وذلك وفقاً لما تقرر في (علم التجويد) وتفادياً من مخالفة أصول الأداء العربي .

* * *

ونذكر بهذه المناسبة كلمة أو تعبيراً جديداً اصطلح عليه (الديبلوماسيون) المعاصرون وأملاه علينا في هذه الأيام المذيعون ولم نعهد اننا سمعناه قبل هذه الحرب القائمة :

ذلك أن من خاض غمراتَ الحرب بالفعل سموه (محارباً) وضده (الحيادي او المسالم) وهو الذي لا ناقة له في الحرب ولا جمل . ثم رأى هؤلاء الديبلوماسيون

انهم في حاجةٍ الى اعتبار حالةٍ ثالثة لا يصح ان يوصف صاحبها بالمحارب ولا بالمسالم الحيادي فاصطلحوا على تسميته (باللاّمحارب) . وكأنهم يريدون بتوصيفه بالحرب ثم نفيها عنه بحرف النفي (لا) أن ظروفاً استثنائية او جغرافية جعلته على أُهبة الحرب والاستعداد لها . او على وشك الدخول فيها عند اول فرصة . أو انه لا يخلو من ميلٍ في نفسه الى احد الفريقين المتحاربين

فالحالات اذن ثلاث (حيادي) (*neutre*) محارب (*en état de guerre*) لا محارب (*non belligérant*) ويظهر ان هذه الكلمات العربية الثلاث انما اصطلح عليها المذيع الاول او الديبلومامي العربي الاول ترجمة للكلمات الافرنجية الثلاث وقد قام في وضع هذا الاصطلاح بوظيفة المجمع العلمي فالشكر له على كل حال .

* * *

ومن لطيف الاتفاق ان يقع نظري على كلمتين في لغتنا العربية تصلحان للقيام مقام كلمتي (المحارب) و (اللا محارب) .

وهما كلتا (عُدَى) بضم العين و (عِدي) بكسرها : وقد فسروا ذات الضم بالأعداء الذين تقاتلهم . وفسروا الثانية ذاتَ الكسر بالأعداء الذين لا تقاتلهم . فالعدى بالضمّ المحاربون بالفعل . والعدى بالكسر اللامحاربون لكنهم مستعدّون لها متهيؤون .

وقد رأيتُ هذه التفرقة بين كلمتي (عُدى) و (عِدى) في (محيط المحيط) للبستاني ووافقه عليها صاحب اقرب الموارد . لكنها لم يشيرا الى المصدر الذي اعتمدا عليه في حكاية هذه التفرقة المليحة التي نحن في حاجة اليها والى امثالها من الاوضاع الجديدة . ثم راجعتُ اللسان والتاج والصحاح والأساس والمصباح فلم اعثر علي تلك التفرقة بين الكلمتين المذكورتين غير ان اللغويين قالوا كلاماً

في معنى (العدى) بالكسر أحسبه السبب الذي حمل صاحب المحيط على اعتبار هذه التفرقة :

فقد قال اللغويون ان (العدى) مكسورة العين تكون بمعنى الغرباء الأجانب عنك . وذكروا شاهداً عليه قول الشاعر :

(إذا كنتَ في قومٍ عِدًى لستَ منهمو
فكل ما عُلفتَ من خبيثٍ وطيب)

فلعل صاحب المحيط استنتج من هذا التفسير لكلمة (عِدى) المكسورة انها بمعنى الأعداء الذين نلابسهم على علاتهم ولا نُثير عليهم حرباً ولا قتالا . فتبقى كلمة (العدى) بالضم لأولئك الذين نصارحهم العداوة ونناجزهم القتال بالفعل . والكلمتان تستعملان وصفين فيقال هؤلاء قومٌ عُدى . وأولئك قوم عِدى . واذا اريد المصدر جاز لنا ان نقول (عُدَوية) من عُدى (بضم العين) اي (محاربة) ومن عِدى المكسور نقول (عِدَوية) بكسر العين اي (لا محاربة)

على ان المجال مازال واسعاً امامنا للتثبت من هذه التفرقة بين الكلمتين ومن طريقة استعمالها وبعد ذلك يتسنى للمجامع العلمية وضع قرار بقبول تينك الكلمتين اللغويتين واستعمالها في الاصطلاحين الجديدين او بعدم قبولها بالمرّة والاكتفاء باستعمال الكلمات التي شاعت على لسان الراديو اعني (المحارب) و (اللامحارب) و (السلام)

المغربي

ابناء علي بن نصير الدين الطوسي

اطلعت اتفاقاً على نسبٍ قديم الخط كتب في ورق صقيل يتضمن اسماء ابناء علي بن نصير الدين الطوسي الفيلسوف الرياضي الشهير المتوفى سنة ٦٧٢ هـ ١٢٧٣ م ولكن هذا النسب لا يحمل شارة رسمية او صفة علمية اذ لا توقيع عليه لأحد وانما يزعم حامله وهو الشيخ صالح بن قاسم ناصر الدين من قرية دالية الكرمل بالقرب من حيفا ان هذه نسبتهم وانهم ينتسبون الى نصير الدين الطوسي وان تحرّف اليوم الى ناصر الدين

وهـذه الأسرة من الأسر المعروفة بين آل معروف وقرية دالية الكرمل أُنشئت منذ مائة وثمانين عاماً أنشأها مهاجرة الدروز الذين جاؤا اليها من الجبـل الأعلى في أرجاء حلب كما يقولون واستوطنوها من ذلك التاريخ ومن أسرها المعروفة ايضاً حسون والحلبي ٠

والى القارئ الكريم نصّ هذا النسب بحروفه وعلى علاّته واغلاطه على ان نذيله ببعض آراء وملاحظات

« اللهمّ صلي على سيدنا محمد وآله وصحبه اجمعين صلاة دائمة الى يوم الدين وسلم تسليماً كثيراً ٠ وقد نقلت هذه النسبة المباركة عن خط الشرف علي بن مولانا الامام الولي نصير الدين الشريف علي بن محمد الطوسي وذكر انها نقلت عن خطّ أبيه نسبة قديمة ذكر تاريخها في شهر رجب المرجب من شهور سنة خمسٍ وخمسمائة ونقلت٠ ٠ ٠ ٠ ٠ ٠ ٠ ٠ [1] الذي نقلت عن خط الشرف علي ولمـا نقلها الشرف علي عن خط ابيه نصير الدين المنقول عن النسبة القديمـة المتصلة بالأنساب الشريفة العلوية فسار بها الى مدينة دمشق المحروسة خلد الله تعالى ملك

---

(١) خرم مقدار ست كلمـات

مالكها لتكن في يده اثباتاً لشرفه واستخارة برحمة الله تعالى سكن دمشق المحروسة وطال[1] له المكان لشرف علي ورزقه الله البنين والبنات من الذكور عزّ الدين ولقبوه بعزّ الدولة وكاسب وشجاع الدين وعزائم وعبد الله ونقرّروا وتناسلوا وطاب لهم المكان وبقي في الشام وبلادها منهم فروع كبير[2] وكان لعزّ الدولة اولاد ذكور منهم فارس الدولة وكمال الدولة وسلمان الدولة ومحمود الدولة وحاتم الدولة وعبد العزيز وكان لكاسب علي واسماعيل وبَنّاً وخلف ومحمد ومزهر وسما[3] مزهر من جملة اولاده وكان مولد احمد بن مزهر في ساعة عكس فلقبوه بها ولما كبر سنه انتقل الى بلاد حلب وسكن بقرية بشتدلايا ثم عمر قرية تسما[4] تلتيثا وصار له فروع كثير[5] الى يومنا هذا ولشجاع الدين ايضاً عبد العزيز وحاتم وعلي ومحمد ولعزائم الشرف علي وعزّ الدين حسين وشهاب الدين احمد ومعن وحصن ونجم الدين ومحمد وشرف الدين علي ومنهم تفرّعت الطوائف المشهورة الآن بنو كاسب وبني شجاع وبني عزائم وبني فوارس والمعنية والحصنية ومنهم في بلاد الشام كثير وفي بلاد حلب ولهم فروع كثيرة متفرقة في البلدان والقرى منهم في بلاد بيروت وبلاد صيدا وبلاد صفد وبلاد حوران وحماة وحمص والمعرّة واعمال حلب ايضاً ومنهم الآن بيوت وطوائف مقرّرة في اماكن معلومة الى يومنا هذا وهم يعرفوا بأولاد البزيرية الى الآن في الأنساب والتورايخ المؤرخة في الكتب السابقة فقد ثبت وصحّ بين يدي مولانا وسيدنا قاضي القضاة جمال الدين مفتي المسلمين ثقة الملوك والسلاطين ابي عبد الله محمد ابن الشيخ الامام العالم صدر الدين ابي الربيع سليمان بن سوسر البصراوي المالكي الحاكم بمدينة دمشق ومضافاتها ادام الله ملك مالكها وذلك في نهار الاثنين الرابع والعشرين

(١) لعلها وطاب . (٢) لعلها كثيرة .

(٣) و(٤) يعني سمي وتسمي ولها أمثال كثيرة فيما يلي (٥) يريد كثيرة .

من شهر صفر الخير من شهور سنة عشرٍ وسبعمائة ثبوتاً شرعياً واعتباراً مرضياً بالبينة العادلة المرضية التي بمثلها أيضاً ثبت بين يدي مولانا وسيدنا قاضي القضاة حاكم الحكام فخر الأنام صدر مصر والشام بقية السلف الكرام مؤيد الشريعة محمد الأريحي الحنفي الحاكم بمدينة دمشق المحروسة سنة احد عشر وسبعمائة وانه قد ثبت ايضاً بين يدي مولانا وسيدنا الشيخ الامام العالم العلامة قاضي القضاة حاكم الحكام حجة الاسلام والمسلمين ثقة [1] الملوك والسلاطين خالصة مولانا امير المؤمنين سليمان بن الشيخ الامام العالم العلاّمة بدر الدين الدمشقي الشافعي الحاكم بدمشق المحروسة سنة ثمانٍ وسبعمائة هو انه قد ثبت عندهم وصحّ لديهم أحسن الله اليهم اتصال نسب الشرف علي المنقول عن النسبة القديمة المتصلة بالانساب الشريفة العلوية من اولاد كاسب الى بلاد حلب علي وخلف واسماعيل فتقرر اسماعيل بن كاسب في قريةٍ من أعمال حلب تبع قضاء مرمين تسما بنش وخلف تقرر في قرية مرتحوان وعلي تقرّر في بنابل وصار لهم فروع كثيرة الى يومنا هذا ومنهم فروع من توجه الى ناحية الشرق الى بلاد البارة من اعمال حلب ايضاً المحروسة وأما بَنّا بن كاسب تقرر بقرية تسما دِلفا من اعمال حلب وحلال الدولة [2] تقرّر بقرية تسما بشندلنتة من اعمال حلب واما شجاع الدين وعبد العزيز ومحمد ويكنى جيقة [3] وحاتم تقرر في مدينة الشام وكمال الدولة ومحمود اولاد عزّ الدولة توجهوا الى بلاد حلب وتقرروا في قرية تسما تلتيتا المذكورة ايضاً وصار لهم فروع كثيرة الى يومنا هذا . وكلّ من لقب بالدولة نسبة لعزّ الدولة وكان لسليمان بن فارس الدين ولدات الدين [4] الواحد منهم سماه سعيد والآخر اسماعيل تقرر في قرية في اقليم دربل تسمى بقعسم واما علي فارس الدين والدولة [5] انتقل

---

(١) في الأصل ثقة ثم تصححت إلى ما يشابه بركة (٢) لعله جلال الدولة

(٣) لعله حيقة (٤) لعله ولدان اثنان (٥) لعل الدولة هنا زائدة

الى بلاد حلب وتقرّر في قرية من اعمال سرمين تسما باثنتا وصار له فروع كثيرة الى يومنا هذا ٠

واما شرف الدين علي وعزّ الدين الحسين إبنا عزائم سكنوا مدينة حماة وتقرروا بها مدة من الزمان وتناسلوا وطاب لهم المكان فخلف عزّ الدين الحسين ولدين نجم الدين محمد وشرف الدين علي فلحقوا بعمومتهم اولاد كاسب واقاموا بها يقرؤا القرآن ويكتبوا المصاحف الى يومنا هذا ولم يتقرروا في بلاد حلب في قريةٍ واحدةٍ كلهم ٠ ثم ان شرف الدين علي عاد الى مدينة دمشق المحروسة ومات بها رحمه الله تعالى وخلف ايضاً ولدين وهما عز الدين الحسين وشرف الدين علي وعز الدين بن شرف الدين خلف اولاد ذكور وسماهم نجم الدين وشرف الدين وثبت اتصال نسبهم في النسبة السابقة المنقولة عن خط الشرف علي ايضاً لدى مولانا العالم العلاّمة قاضي القضاة حاكم الحكام حجة الاسلام والمسلمين علي بن سليمان بحلب المحروسة سنة خمسٍ وثمانمائة ادام الله ايامه وختم بالصالحات اعماله وعاد علينا من بركاته وانفذ امره واحكامه في مجلس حكمه وقضائه بحضرة السادة العدول ثبت الله اشهادهم ورحم الله آباءهم واجدادهم وغفر الله لنا ولهم ولكافة المسلمين اجمعين والحمد لله رب العالمين وصلي اللهم على سيدنا محمد وآله الطاهرين الطيبين وصحبه اجمعين ٠

نقلت هذه النسبة الشريفة العلوية عن النسبة المذكورة نهار الاربعا في شهر رمضان المبارك من شهور سنة ثلاثٍ وثمانين وتسعمائة هجرية على مهاجرها افضل الصلاة والسلام وهذه الاشخاص المذكورة في هذه النسبة جميعًا من سلالة الشرف علي بن الشيخ محمد الطوسى من سلالة النبي نوح عليه السلام مسلسلين واحداً بعد واحد إلى آخر الأئمة الفاطميين رضي الله عنهم اجمعين تم وكمل ٠

آراء وملاحظات

١ً : ان اهمّ ما يلفت النظر في هذه النسبة ان تكون منقولة عن نسخة قديمة مؤرخة في رجب سنة ٥٠٥ هـ ١١١١ م بينما هي لا تتضمن نسبة كاتبها نصير الدين الطوسي بل تتعلق بنسبة ابنه علي الذي يقول انه نقلها عن النسبة المكتوبة بخط ابيه .

٢ً : وفي ترجمة النصير الطوسي المدونة في فوات الوفيات لابن شاكر الكتبي يذكر انه خلف من الأولاد صدر الدين علي والأصيل حسن والفخر احمد ويقول ان علياً ولي غالب مناصب ابيه ، فلما مات ولي بعده الأصيل حسن وقدم هذا الأخير الشام مع غازان وحكم في اوقافها تلك الأيام واخذ منها جملة ورجع مع غازان وولي نيابة بغداد فأساء السيرة فعزل وصودر وأُهين فمات غير حميد ، وأما الفخر احمد فقتله غازان لكونه أكل اوقاف الروم وظلم . وهذا ينفي قدوم علي الى الشام كما تزعم النسبة فمن اين جاء اولاد علي اليها واستوطنوها .

قد يَرد على الذهن ان يكون اولاد علي جاؤا الشام مع عمهم الأصيل حسن وظلوا فيها بعد قفوله عنها ، ولكن النسبة تجعل الوارد الى الشام صدر الدين علي وهو لم يأتها بل مات اما في مراغة لأنه كان يتولى الرصد فيها بعد وفاة والده ، واما في بغداد التي انتقل اليها والده وصحبه وتلامذته كما يقول ابن شاكر .

٤ً : أردنا ان نستوثق من وجود القرى التي جاء ذكرها في النسبة فسألنا عنها زميلنا المفضال الشيخ محمد راغب الطباخ من مؤرخي حلب فقال انّ شتدلايا وتلتيثا (ويقال لها الآن تلتيتا بتائين بينهما ياء) من قرى جبل الزاوية التابع لبلدة ريحا ، وان بنش قرية كبيرة تبعد عن ادلب فرسخاً يمر بها المسافرون من حلب الى ادلب ، وان مرتحوان شمالي معرة مصرين وهي تتبعها وتبعد عنهـا فرسخاً . قال ويوجد بها وفي الجبل الأعلى الذي هو قريب منها دروز .

٥ً : وسألنا الشيخ ايضاً عن قاضي القضـاة بحلب علي بن سليمان المذكور اسمه في النسبة انه كان سنة ٨٠٥ ، فقال ان الشيخ كامل الغزي صاحب نهر

الذهب في تاريخ حلب استقصى اخبار القضاة ، ولكنه لم يذكر بينهم ذلك القاضي وقال الطباخ نقلاً عن ابن خطيب الناصرية من كتاب مخطوط : ان علي بن سليمان البرواناه الرومي ولي نيابة دار العدل فجلس بها وبين يديه القضاة فحكم وامضى الأمور على السداد وتوفى سنة ٧٠٩ ه قلنا والفرق بين التاريخين يزيد على مئة سنة ، وعبارة المؤلف تنم على ان دار العدل هذه كانت في القاهرة عاصمة الملك .

٦ً : عندي ثبت فيه اسماء بعض قضاة دمشق من سنة ٥٨٧ الى سنة ٧٢٢ ه ولم اجد بينهم اسم سليمان بن سومر البصراوي المالكي الحاكم بمدينة دمشق ومضافاتها وسليمان بن بدر الدين الدمشقي الشافعي الحاكم بدمشق المحروسة ، وقد يكون الثبت لم يتناول جميع القضاة فلا نستطيع الحكم على القاضيين المذكورين هل كانا على قضاء دمشق في التاريخين المحررين في النسبة ؟

٧ً : ولعل أغرب وأعجب مافي هذه النسبة هو ما جاء في خاتمتها من ان أبناء الطومي من سلالة النبي نوح عليه السلام وانهم تسلسلوا واحداً بعد واحد الى آخر الأئمة الفاطميين .

لذلك نرى ان في نشر هذه النسبة التي تحتوي على أسماء كثيرٍ من القرى والاشخاص فائدة تاريخية اذا ايدتها بعض الحوادث والأخبار المطوية في بطون الكتب والاسفار .

عبد الله مخلص

الريال المزيف

ويح الفقير فما تراه يلاقي   سدت عليه منافذ الارزاق

عصفت به وبسربه ريح الشقا   فتساقطوا كتساقط الاوراق

فاذا بصرت به عجبت لشمعة   كالزعفران تجول في الاسواق

علق المجاعة مص بعض دمائه   وتعسف الحكام مص الباقي

. . .

اخذ الشقا بدها فسارت خلفه   والليل ممـدود على الآفاق

سارت ، فماس الخيزران بقدها   ورنت ، فذاب السحر في الاحداق

وتلوح آثار النعيم بخدها   كالفجر قبل تكامل الاشراق

. . .

اخذ الشقا يدها فان هي فكرت   بمصيرها صعقت من الاشفاق

ووهت عزيمتها فألقت نفسها   فوق الثرى وشكت الى الخلاق

تشكو بمدمعها وذل فؤادها   وبما تحس به من الاحراق

يارب ! قالت وهي جاثية له   ان شئت حل من الحياة وثاقي

قد عشت عمري ما عرفت بريبة   وعبدت بعدك عفتي وخلاقي

والآن والأيام ملأى بالأذى   قد اصبحت وقراً على الاعناق

زوجي يحارب في التخوم وطفلتي   فوق الفراش تزيد في ارهاقي

من امها تبغي الغذاء لجسمها   من امها تبغي الدواء الواقي

وطرقت ابواب الكرام فأوصدوا   ابوابهم فرجعت بالاخفاق !..

. . .

سام الفتى عرضي ! فيالك من فتى   كاسي الغنى عار من الاخلاق

هب ان اختك والزمان اصابها   مثلي اصابت سافل الاعراق

افكان سرك ان ترى احسانه   ثمن العفاف لضمة وعناق

خفف على عنقي الضعيفة واتئد   اني رأيتك آخذاً بخناقي !

ان الريال غنى ولكن عفتي فوق الغنى ونفائس الاعلاق

. . .

أاصون عرضي؟ وابنتي؟ وحياتها؟ وعلاجها يحتاج للانفاق
انا ان اعف قتلتها فعلام لا تحيى بماء تعففي المهراق
لا ! لا تموت فانها لبريئة حسناء ماشبت عن الاطواق
اني مفارقة ابنتي او عفتي فعلى كلا الحالين مر فراق
والذنب للايام في حدثانها والذنب للاخلاق غير رواقي !٠

. . .

رباه حلمك فالمصائب جمة وانا بواحدة يضيق نطاقي
لو شئت موتاً لابنتي لأخذتها وجعلت طهري قدوة لرفاقي
لكن اردت بقاءها واردت لي فقري ، اتظمئني وانت الساقي!
ستعيش بنتي وليكن ما شئته ستعيش٠٠ لكن من لهى العشاق

. . . . .

ومشت لموعده بماء جفونها الـ ـــقرحى وجمر فؤادها الخفاق !٠

. . .

لو صوروا اللؤم الذميم فمثلوا (ذاك الفتى) عدّوا من الحذاق
ترعي السفالة في مجاهل قلبه وتطل ان شبعت من الآماق
ومتى يحاول حجب مكنوناته يلبس محياه حجاب نفاق
قنص الفتاة بفقرها وشقائها « وبما تكابد من امى وتلاقي !»
حتى اذا اختليا انثنى بوصالها وقد انثنت بريالهِ البراق

. . .

رجعت وفي يدها الريال ورأسها لحيائها متواصل الاطراق
وكأنها خطرت لها ابنتها وما تلقاه من الم الطوي المقلاق
فأصابها مثل الجنون فتمتمت : بشراك اني عدت بالترياق

هو ذا الريال فانه نعم الذي يهب الشفاء لنا ونعم الراقي
هوذا الريال وقد تألق ماحق دجن الهموم وقد اردن محاقي !
هوذا الريال ولم يكن لولا ابنتي ليسومني نكراً عن الاطلاق !

. . .

ومضت الى الطباخ تلجم ما بها لفتاتها من لاعج الاشواق
قالت ـ وأدته الريال ـ الا اعطني بعض الغذا ، واردد علي الباقي
اسرع فانك ان تؤخرني تذق من جوعها بنتي امر مذاق !

. . .

نقف الريال باصبعيه وجسه وانهال بالارعاد والابراق
قبحاً لوجهك . . .
سيدي أتسبني عفواً وتحسبني من السراق ؟ .
— لا فالريال مزيف . . .
— أمزيف ! . . . صاحت وقد سقطت من الارهاق

. . .

سقطت على قدم الشقا فبكت لها عين العلى ومكارم الاخلاق
وبكى عفاف الآنسات عفافها خلل السجوف بمدمع مهراق
يا طير عفتها فديتك طائراً هلا حذرت حبائل الفساق

. . .

طلعت عليها الشمس وهي سجينة وفتاتها ضيف على الاشواق
اما الاثيم فلا تزال شباكه منصوبة لنواعس الاحداق
يسقى الرحيق بأكؤس ولواحظ والله يكلأ — «وهو نعم الواقي !»

بشارة الخوري

مخطوطات ومطبوعات

حلوة المذاكرة وحلوة المحاضرة

الصلاح الصفدي من المكثرين من التأليف والمجودين فيه . ومن جملة كتبه مخطوط في الخزانة التيمورية من فروع دار الكتب المصرية هذا الكتاب ، أوله : الحمد لله الذي جعل لسان العرب أفصح الألسن ... قال وبعد فهذه اوراق أودعتها أزاهر ما حضر ذاكرتي ، وأدرج ضمنتها جواهر ما قذفته حافظتي ، عرضت حاصل فكري فانتخبت منه هذه الزبدة ، ورقمته في هذه البرود المحررة ، وأنبته في رباها الزاهرة ، والتزمت ان أورد فيها ما رق معناه وراق لفظه وشقّ الإتيان بمثله وشاق حفظه . وهذا الاسلوب حافظ عليه اهل الأدب من المتأخرين ، وسلكه اهل الذوق السليم من الناظمين والناثرين ، فجلوا أبكاره المستكنة في حدود خواطرهم ، وأطلعوا أقماره المستجنة في آفاق ضمائرهم ، لأن ما أتوا به أطرى في المسامع وأطرب ، وأسرى في القلوب وأسرب ...

ومقدمة الكتاب في معرفة فنون الشعر والقابها قال ان الشعر إن أثني به على حيّ فهو مديح كقول أبي الطيب في سيف الدولة :

نهبت من الأعمار ما لو حويته ... لهنئت الدنيا بأنك خالد

قال ابو الفتح عثمان بن جني رحمه الله تعالى : لو لم يمدحه الا بهذا البيت وحده لكان قد أبقى له ما لا يخلقه الزمان . وقال الشيخ تاج الدين الكندي : ما أجل هذا البيت وأحسنه ! مدح في مدح ، تركب من وجهتين بلفظ جزل لطيف ، وذلك انه بنى البيت على ذكر انه استباحه من المادية ، ثم تلقاه في آخره بسرور الدنيا ببقائه واتصال أيامه .

وإن أثني به على ميت فهو رثاء وتأبين كقول التميمي في ابن زياد :

ردت صنائعه عليه حياته   فكأنه من نشرها منشور

قال بعض الأفاضل ما مات من قيل فيه مثل هذا البيت .

ولو ذكر فيه لؤم او جبن او بخل او ماهو ملحق بذلك فهو هجاء كقول بعض العرب[1] :

قوم إذا استنبح الأضياف كلبهم   قالوا لأمهم بولي على النار

زعم بعضهم انه لم يُسمع أشد هجواً من هذا البيت وذلك أنه وصفهم بالبخل من كون نارهم تطفأ لئلا يهتدي الأضياف الى طلب قراهم ، ثم انه بالغ في وصفهم بشدة البخل ، لأنهم يطفئون النار ببول أمهم ، حرصاً منهم على الماء . ثم انه وصفهم بالجبن والكسل ، لأنهم يتركون أمهم تتولى خدمتهم ليلاً ، ولم يأنفوا من ذلك ، ثم انه وصفهم بالعقوق ، وقلة الأدب إذ يخاطبون والدتهم بمثل هذا الخطاب السفيه ، ثم انه وصفهم بالقلة والصعلكة بحيث ان نارهم في القلة الى غاية تطفأ ببولة المرأة ، وقد تكلف بعضهم واستنبط منهم أشياء أخر بعيدة التأويل اضربت عنها . ولو ذكر اخلاف وعد ومطل وقلة وفاء وامثال ذلك فهو عتاب . والكتاب كله على هذا النحو وهو في ٢٠٣ صفحات صغيرة .

محمد كرد علي

(١) هو الأخطل (الديوان طبع المطبعة الكاثوليكية ببيروت ص ٢٢٥)

الذخيرة لابن بسام

كتاب الذخيرة في محاسن اهل الجزيرة جزيرة الأندلس من اشهر كتب الأدب في الغرب ، فهو ككتاب يتيمة الدهر للثعالبي في الشرق ، وضعه صاحبه ابو الحسن علي بن بسام الشنتريني المتوفى سنة ٥٤٢ ﻫ وكان اماماً في الصناعتين صناعة النظم وصناعة النثر . والكتاب يحمل صفحات اطالت حجمه ، ولكنها ابانت عن اقتدار المؤلف وايثاره الاستقصاء ، وثبت بها ان اهل الاندلس ما كانوا يقلون عن اهل الشرق بأدبهم الذي تقرأ فيه طابعهم .

وقد حمل هذا الجزء الأول ترجمة المستعين بالله سليمان بن الحكم والمستظهر بالله وابن دراج القسطلي وعلي بن حمود وابن برد الاكبر والوزير عيسى بن سعيد القطاع وعبد الوهاب بن حزم والفقيه ابي محمد بن حزم ومنذر بن يحيى التجيبي وابن شهيد وابن الافليلي وابن زيدون وابن حناط الكفيف وغير ذلك من الحوادث السياسية . واستوفى تراجم الأمراء الفصحاء والشعراء والأدباء والعظماء .

ومن مطالعة هذا السفر يتجلى الأدب الأندلسي كل التجلي . ويعرف بما نقل المؤلف في كتابه عرضاً ان حملة الأقلام واعلام الشعراء كانوا يتأدبون بآداب الأقدمين والمحدثين من العرب ، وكانت معرفتهم ثاقبة بأدب كل من نبغ في عصرهم في الشرق .وقد تسقط لأدبائهم على آراء غريبة ، ولا عجب فطابع كل ادب مقتبس من بيئته ، ولهذا كان ادب الأندلس غير ادب بغدادودمشق والفسطاط .

من ذلك ما رواه ابن بسام للوزير عامر بن شهيد : « واصابة البيان لا يقوم بها حفظ كثير الغريب واستيفاء مسائل النحو بل بالطبع مع وزنه من هذين ، ومقدار طبع الانسان انما يكون على مقدار تركيب نفسه مع جسمه ، فمن كانت نفسه في اصل تركيبه مستولية على جسمه ، كان مطبوعاً روحانياً يطلع صور الكلام والمعاني في أجمل هيئاتها ، وأروق لِبِساتها ، ومن كان جسمه مستولياً على

نفسه — من أصل تركيبه — والغالب على حسه ، كان ما يُطلع من تلك الصور ناقصاً عن الدرجة الأُولى في الكمال والتمام وحسن الرونق والنظام . فمن كانت نفسه المستولية على جسمه فقد تأتي منه في حسن النظام ، صوررائعة من الكلام ، تملأ القلوب ، وتشغف النفوس ، فاذا فتشت لحسنها أصلاً لم تجده ، ولجمال تركيبها أسًا لم تعرفه ، وهذا هو الغريب أن يتركب الحسن من غير حسن (ص ١٩٧) .

وقال ابو عامر (٢٠٢) : « وكما أن لكل مقام مقالاً فكذلك لكل عصر بيان ، ولكل دهر كلام ، ولكل طائفة من الأمم المتعاقبة نوع من الخطابة . وضرب من البلاغة ، لا يوافقها غيره ، ولا تهش لسواه ، وكما أن للدنيا دولاً ، فكذلك للكلام نُقلٌ وتغاير في العادة ، ألا ترى أن الزمان لما دار كيف أحال بعض الرسم الأَول في هذا الفن الى طريقة عبد الحميد وابن المقفع وسهل بن هارون وغيرهم من أهل البيان ، فالصنعة معهم أفسح باعًا ، وأشد ذراعًا ، وأنور شعاعًا ، لرجحان تلك العقول ، واتساع تلك القرائح في العلوم . ثم دار الزمان دورانا ، فكانت إحالة أخرى الى طريقة ابراهيم بن العباس ومحمد بن الزيات وابني وهب ونظرائهم ، فرّقت الطباع ، وخف ثقل النفوس . ثم دار الزمان فاعترى اهله باللطائف صلف ، وبرقة الكلام كلف ، فكانت إحالة أخرى الى طريقة البديع وشمس المعالي وأصحابهما . »

لا جرم ان حرص الاندلس على الأخذ من الشرق وأدبه ، ووقوفه بالمرصاد لمراقبة حركته العلمية كان من الخير للأدب ، مثال من ذلك صغير ، ولكنه يدل على أمر عظيم ، قال ابن بسام : (٣٦٥) وكان ابن جهور كسر دنان الخمر ، وكان مدحه أيضًا يومئذ بمثل ذلك عبد الرحمن بن سعيد المصغر بشعر أوله :

كسرت لجبر الدين أوعية الخمر ... فأحرزتَ خصلَ السبق في الكسر والجبر
عمدت الى الشر الذي جمعوا له ... ففرقت منه ، فاسترحنا من الشر

في أبيات غير هذه استبردتُ جملتها ، وانما ذهب الى عكس قول من تقدم من عُباث الشعراء من ذم صبّ الشراب ، ومن أشهره قول بكر بن حارثة الكوفي ، وقد رأى من سلطان وقته مثل ذلك فقال :

يا لقومي مما جنى السلطانُ — لا يكن للذي أهان الهوانُ
سكبوا في التراب من حلب الكر — م عُقاراً كأنها الزعفرانُ
صبها في مكان سَوْء ، لقد صا — دف سعد السعود ذاك المكان
من كميت يبدي المزاجُ لها لؤ — لؤَ نظم والفصل فيها جُمانُ
فاذا ما اصطبحتها صغرت في القـ — ـدر عندي من أمه الخيزران
كيف صبري عن بعض نفسي وهل يصـ — ـبر عن بعض نفسه الانسانُ !

وبلغني أن الجاحظ أنشد هذه الأبيات فقال للمنشد : « من حق الفتوة أن اكتبها قائماً ، وما أقدر الا ان تعمدني » لنقرس كان به . قال المحدث : فعمدته وقام فكتبها . »

ومن ذلك قطعة ظفر بها ابن بسام لسليمان بن الحكم الأموي الذي بويع بالخلافة سنة اربعمائة « عارض بها هارون الرشيد » فتشعشعت بها الكؤوس ، وتهادتها الأنفاس والنفوس ، قال هارون الرشيد :

ملك الثلاث الآنسات عناني — وحللن من قلبي بكل مكانِ
مالي تطاوعني البرية كلها — وأطيعهن ، وهنَّ في عصياني !
ماذاك إلا أن سلطان الهوى — وبه قوين — أعز من سلطاني

فقال سليمان المستعين :

عجبًا يهاب الليث حد سناني — وأهاب لحظ فواتر الأجفان
فاقارع الأهوال لا متهيبًا — منها سوى الإعراض والهجران
وتملكت نفسي ثلاث كالدُّمى — زُهرُ الوجوه نواعم الأبدان
ككواكب الظلماء لحن لناظري — من فوق أغصان على كثبان

هذي الهلال، وتلك بنت المشتري حسناً، وهذي اخت غصن البان
حاكمت فيهن السلوَّ الى الصبا فقضى بسلطانٍ على سلطاني
فأبحن من قلبي الحمى وتركنني في عزّ ملكي كالأسير العاني
لا تعذلوا ملكاً تذلل للهوى ذلُّ الهوى عزٌّ وملك ثاني
ما ضرَّ أني عبدُهن صبابةً وبنو الزمان وهن من عُبداني
إن لم أطع فيهن سلطان الهوى كلفاً بهن فلست من مروان .»

ومن فوائد هذا الجزء ما صدر عن المظفر بن ابي عامر بقلم ابن برد الأكبر من كتاب يدل على مبلغ حرص الاندلسيين على اللغة وجمال الخط والوضع قال في معنى استكتاب الجهلة (٨٧) (... فلم يبلغ ان يُحكم الخط فيقيم حروفه، ويراعي المِداد فيجيد صنعته، ويميز الرّق فيحسنَ اختياره، وَعجزُه الحزم النافذ والحكم الصادع، بان يكون صدور كتب الاعتراضات وعنواناتها وتواريخها والاعداد في رؤوس رسومها، بخطوط أيدي القواد والعمال، من كان منهم كاتباً فبيده، ومن لم يكتب فبخط كاتب له معروف، وان تكون تسمية طبقات الأجناد فيها بينة الحروف قائمة الخطوط ... على أنه إن ورد لأحد من الخدَمة بعد وصول ذلك العهد اليه كتاب اعتراض او عمل في رَق رديّ، أو بمداد دني، او خط خفيّ، فيه لحن، او كتاب على بشر في عدد، او رأس رسم ما لم يخفَ او يقع في حشو الكتاب ويعتذر منه، ليبطلن سعي كاتبه فيما كتب، وليعاجلن بعقوبة العزل واغرام المال الثابت عدده في ذلك القنداق ... وان قوماً من خدمة الحضرة قد عادوا لما نهوا عنه فكتبوا الخط الدقيق في دنيّ الرُّقق دقةً من هممهم ودناءة في اختيارهم، وجهلاً بأن الخط جاه الكتاب وسلك الكلام ... وانا أعطي الله عهداً لئن ارتفع اليّ — بعد بلوغ عهدي هذا اقصى حدود المملكة وانتهائه أبعد أقطار الطاعة — كتاب على الصفات المذمومة، والاحوال المسخوطة، من رَقّ او مداد او خط لأوفينّ لصاحبه بما قُدّم اليه من الوعيد .»

قسم المؤلف كتابه أربعة اقسام : قسم لاهل قرطبة وما صاقبها ، وآخر لأهل الجانب الغربي من مدن الأندلس ، وذكر اهل اشبيلية وما اتصل بها من بلاد ساحل البحر المحيط الرومي ، والثالث اهل شرق الاندلس ، واستوعب القسم الرابع من طرأ على جزيرة الاندلس من مشهوري الآفاق ممن نجم في عصره بافريقية والشام والعراق . واعتمد على ما كتبه ابن حيان مؤرخ الأندلس العظيم في الحوادث السياسية واقتصر على ما كان من شعر معاصريه ، ولم يعرض لمن كان قبله لأن من سبقه من المؤلفين وضعوا لذلك الكتب فلم يحب ان ينازعهم .

تصدى المستشرق الفرنسي ليفي پروفنصال للبحث عن الكتاب واختار مصر لنشره ، فألف القسم العربي في كلية الآداب من جامعة فؤاد الاول لجنة من طلابها النابهين تعد الكتاب للنشر ، ثم تعرض اعمالها على لجنة قوامها اصدقاؤنا الاساتذة الدكتور طه حسين بك واحمد امين بك والشيخ مصطفى عبد الرازق باشا والسيد عبد الحميد العبادي والدكتور عبد الوهاب عزام والسيد ليفي پروفنصال ، فخدم الكتاب بذلك اجل خدمة ولم تقع فيه غير هنات قليلة لا يخلو منهـا كتاب قديم يراد احياؤه على الطرائق العلمية الحديثة .

وكان السيد پروفنصال اطلعني على بعض تعاليق على هذا السفر وضعها بالفرنسية على عادة علماء المشرقيات منذ القديم ، وكانوا يضعون ملاحظاتهم على ما يحبون نشره من كتبنا بلغاتهم الغربية ، وأصبحوا منذ عهد قريب يجعلونها بالعربية لغة الكتاب ، فطلبت اليه أن يكتب ملاحظاته بالعربية ، ولفت انظار لجنة نشر الكتاب الى ذلك فوافقوا على رأيي ، ولطالما لاحظت على بعض العلماء المستعربين من الغربيين في هذه المجلة ، كلما نشروا كتاباً لنا وجعلوا مقدمته وهوامشه بلغاتهم ، ذاكراً لهم ان الكتاب لا نتناوله أيدي المستشرقين فقط ، بل أيدي ابناء العرب ، ومنهم من لا يحسن اللغات الاوربية ، فكتابة التعليقات بغير لغة الكتاب الاصلي ضرب

من العنت يحرم بها قسم عظيم من الراغبين في الاستفادة من الكتاب ، وكان الاستاذان ريتر ونيبرغ هما اللذان سنا هذه السنة الحسنة للمستشرقين فجعلا ملاحظاتهما ومقدماتهما بالعربية على ما نشرا من الامهات ، ومنها الوافي بالوفيات للصفدي ومقالات الاسلاميين واختلاف المصلين لابي الحسن الاشعري والانتصار للخياط .

وقد وعد المقدم للكتاب الدكتور طه حسين ان يصدر الكتاب في مجلدات ثمانية لكل قسم من أقسامه مجلدان ثم تصدر اللجنة بعد تمامه مجلدين احدهما يشتمل على فهارس في موضوعات الكتاب وما فيه من الاعلام والثاني يشتمل على ملاحظات مفصلة تمس النص وتتصل بالنسخ المختلفة وبالمراجع التي يرجع اليها المؤلف في تأليفه ورجع اليها المصححون في تصحيحهم وعلى معجم الالفاظ والاصطلاحات الاندلسية التي لا توجد او لا توجد الا قليلا في كتب الشرق ، فنرجو لهم اتمام هذه الامنية ونشكر لجامعة فؤاد الأول عنايتها باحياء هذه المعلمة الاندلسية على نفقتها وللجنة التأليف والترجمة والنشر على طبعها لها في مطبعتها على المثال المتقن الذي عودتنا عليه من اصدار مطبوعاتها النافعة .

محمد كرد علي

ديوان طفيل بن عوف الغنوي

وديوان الطرماح بن حكيم الطائي

عهدت لجنة ذكرى «جيب» الى المستشرق الكبير الاستاذ ف · كرنكو المعروف بين قراء العربية بسالم الكرنكوي بتحقيق وتخريج هذين الديوانين المجموعين في مجلد واحد محفوظ في المتحف البريطاني ورد في آخره انه كتب سنة ثلاثين واربعاية ·

أما الديوان الأول فهو ديوان الطفيل رواية ابي حاتم السجستاني عن الاصمعي · عدد قصائده عشر مع شرح موجز للسجستاني ، عدا ما استدركه الاستاذ كرنكو فجعله ملحقاً للديوان وهو ما عثر عليه من شعر الطفيل مما لم يذكر في الديوان ·

والطفيل هذا شاعر جاهلي فارس ينتسب الى قبيلة غني من قيس بن عيلان ، قاد قبيلته وأغار بها على طيئ · وشعره يمثل حياة البادية في الجاهلية ويكاد يكون سجلاً للاحداث الخطيرة التي شهدتها قبيلته ، يذكر اضطرابها بين الحجاز ونجد واطراف الشام وحروبها مع طيئ وموالاتها لبني الحارث بن كعب وبني جعفر وبني سعد بن عوف ويفخر بمساعيها ويرثي شيوخها ·

واكثر ما يحتفل به من المعاني وصف الخيل والتفنن في نعتها والثناء عليها والافراط في حبها والاكثار من ذكرها حتى سمي طفيل الخيل لكثرة وصفه اياها ، وعد من اشهر من وصفها وجعله صاحب الأغاني اوصف العرب للخيل · قال عبد الملك بن مروان : «من أراد ركوب الخيل فليرو شعر طفيل» وله في وصف الابل ما هو دون ذلك ·

وهو في اكثر شعره جاد ، مقتصد في غزله متصاون فيه قليل اللهو لا يكاد يعبث ، يصف الغارات وبلاء قومه فيها ويتغنى بالشجاعة والكرم والعفة والمآثر

ويفخر بها ويحض عليها ولذلك أحبه رجال الجد والعمل كمعاوية وعبد الملك ، فقد روي عن معاوية انه قال : « دعوا لي طفيلاً وسائر الشعراء لكم » وروي عن عبد الملك انه قال لولده واهله : « أي بيت ضربته العرب ووصفته اشرف حواء واصلاً وبناء ؟ فقالوا فاكثروا وتكلم من حضر فأطالوا ، فقال عبد الملك : اكرم بيت وصفته العرب بيت طفيل الذي يقول فيه :

وبيت تهب الريح في حجراته بارض فضاء بابه لم يحجب
سماوته أسمال برد محبر وصهوته من اتحمي معصب
وأطنابه ارسان جرد كأنها صدور القنا من بادئ ومعقب
نصبتُ على قوم تُدر رماحهم عروقَ الاعادي من غرير وأشيب »

ويأتي بعد ديوان الطفيل ديوان الطرماح بن حكيم الطائي وعليه شرح موجز ولكن لم يذكر فيه اسم جامعه ويظن الاستاذ كرنكو انه الطوسي احد من جمع شعر الطرماح ، وعدد قصائد الديوان ثمان ، ويليها ذيل جمعه الاستاذ كرنكو وفيه طائفة صالحة من شعر الطرماح مما خلا منه الديوان ·

والطرماح ينتهي نسبه الى طيئ وهو من فحول الشعراء الاسلاميين ولد في الشام حوالي منتصف القرن الأول ونشأ بها وانتقل من الشام الى الكوفة مع جيش من جيوش اهل الشام ، وفي الكوفة مال الى مذهب الخوارج فاعتقده أشد اعتقاد واصحه حتى مات عليه · وذهب من الكوفة الى بلاد فارس واقام بالري يشتغل بالتعليم ، وعاد في آخر ايامه الى الكوفة وتوفي فيها بعد انقضاء القرن الأول بقليل ·

كان الطرماح واسع الرواية تعلم النحو وطلب غريب اللغة وعلَّم الأدب · وشعره وأخباره تدل على استقامة وجد وحزم وتقوى شأن اكثر الخوارج ، فلم يكن يميل الى العبث واللهو بل يغلب عليه الجد والعفاف · وهو مع علو همته وانفته فخور تياه يفخر بنفسه ونسبه ويتعصب للقحطانية على العدنانية ويعتز بقبيلته واسلاميته وشاميته واشعاره في ذلك غير قليلة ·

وتغلب على شعره الجزالة حتى تنتهي في كثير منه الى الغريب والعويص ويظهر عليه أثر الاسلام واضحاً جلياً . تقرأ شعره فترى نفس شاعر فارس سمح جم المروءة حمي الأنف كبير النفس حسن الايمان لا يكاد يصرف شعره في سبيل الزلفى والتكسب بل يرسله معبراً عما يختلج في نفسه من بواعث الشعر فيصف ويتغزل ويفتخر ويهجو ويرسل المثل وينطق بالحكمة والموعظة . وتكاد تكون جميع قصائده الطويلة من هذا النوع لم يمدح بها أحداً ولم يرث بها أحداً بل قالها لوجه الشعر .

وإلهام البادية في شعره أظهر — مع أنه حضري نشأ في الشام ودخل بلاد فارس – اذ ترى فيه لمع السراب وتشم منه عبق الشيح والقيصوم وتسمع عزيف الجن ورغاء الابل وهو يعد من أكثر الشعراء تتبعاً لغريب اللغة وعويصها ولغته في قسم كبير من شعره أشبه بلغة الرجاز الذين كانوا يباهون بالغريب مثل العجاج وابنه رؤبة وابي النجم ولكن الذي ينبغي التنبيه اليه ان الطرماح لا يتكلف الغريب في كل شعره بل في قسم منه .

ومن مختار شعر الطرماح قوله يفتخر :

لقد زادني حبساً لنفسيَ انني بغيض الى كل امرئٍ غير طائل
واني شقي باللئام ولا ترى شقياً بهم الا كريم الشمائل
اذا ما رآني قطع الطرف دونه ودونيَ فعل العارف المتجاهل
ملأت عليه الأرض حتى كأنها من الضيق في عينيه كفة حابل
أكل امرئٍ ألفى اباه مقصرا معادٍ لاهل المكرمات الأوائل
اذا ذكرت مسعاة والده اضطنى ولا يضطني من شتم اهل الفضائل
وما منعت دار ولا عزّ اهلها من الناس الا بالقنا والقنابل

ولقد ترجم الاستاذ كرنكو الديوانين المذكورين مع ما استدركه عليهما الى اللغة الانكليزية وجعل لهما مقدمة ضافية وفهارس للقصائد والمقطوعات والاعلام والمظان ومعجماً لمفردات الديوانين مع ترجمة المفردات الى اللغة الانكليزية بعناية وجهد وتدقيق تنم على علم وفضل وبراعة .

خليل مردم بك



الجزء الثاني شباط سنة ١٩٤١ صفر سنة ١٣٦٠

سخيف عاداتنا (*)

تتبدل العادات بتبدل الدول والمدنيات ، وتفعل في تلوينها كثرة المهاجرات والرحلات ، ويندر ان تتفق عادات بلد مع بلد أو اقليم مع اقليم . ومن العادات في ديارنا ما هو جميل لا ضرر فيه ، ومنها ما هو قبيح يحمل أضراراً . وكلامنا هنا على هذا النوع الأخير الذي يتأذى منه أرباب الذوق وعشاق النظام . وبغير التعليم لا سبيل الى نبذ العادات السخيفة ، فبالتعليم تتحد المنازع ، وتقل الفوارق ، ويشيع بين المواطنين كل حسن نافع .

من عاداتنا في اللقاء أن يباغت الرجل صاحبه في بيته أو في محل عمله في الوقت الذي يناسب الزائر وقد لا يناسب المزور . ومن النادر ان يستأذن الطارق ، كأن يقرع الباب بلطف ، ويقف ريثما يسمح له بالدخول ، وقد نسيت عادة الاستئذان ، وكانت مستحكمة عند أجدادنا في القرون الماضية ، فعدنا نقتبسها اليوم من الافرنج . ومن المؤسف ألاّ تكون لنا اوقات معينة للزيارات ، ولقاء الاخوان والمعارف ، وان نترك مثل هذه الأمور الجوهرية فوضى ، وقد جعل بعض السيدات في المدن يوماً خاصاً لاستقبال صويحباتهن وذوي قرباهن ، فتقدمن في هذه المأثرة رجالهن .

كان الرجل اذا دخل مجلساً يوسعون له فقط ، فيسلم ويسلمون على عادة العرب في الجزيرة الى اليوم ، وكان يندر القيام للزائر الا اذا كان لعظيم مجمع على عظمته ،

(*) محاضرة الأستاذ محمد كردعلي في راديو الشرق (بيروت) مساء يوم ١ شباط ١٩٤١

يقومون له مرة واحدة ، وألفوا لعهدنا ان ينتصبوا قائمين لمن كان ذا حرمة في ذاته كلما دخل المجلس وخرج منه ، ولو تكرر ذلك عشر مرات ، يزعمون انهم يكرمون صاحبهم بذلك ، وقد يكون الرجل في بيته ، وجماعته يحاولون اكرامه ، واجلاسه في المكان الذي يتخيلون انه رفيع ، وما أرى وجهاً لإكرام الرجل في داره ، وواجبه هو ان يحتفي بضيوفه وزواره .

واذا دخل المجلس صاحب شأن في الدولة فالحفاوة به تزيد على الحفاوة بغيره ، وكلما كان الداخل رب جاه وغنى ، او ممن يخشى شره وان كان لا يرجى خيره ، يزيد الاحتفال به والاقبال عليه ، فيهبُّ كل من فيه هبة رجل واحد ، ويأخذون بيده ليجلسوه في المكان الممتاز بينهم ، او الذي يتوهمون انه ممتاز ، وقد تكون المقاعد كلها متشاكلة ، لا فرق بين ما كان منها عند الباب ، وما جعل في صدر المجلس ، فيقف الحضور على الأقدام دقائق حتى تتم هذه العملية ، وتسمع خلال ذلك الايمان والحلف بالمولى وبغيره ، ويفعلون مثل ذلك اذا انتووا الدخول الى مجلس او الخروج منه ، فاذا اجتمعوا يتعب أهل المجلس حتى يرضى الداخل ان يتخذ مقعده الذي يجري الاتفاق على ان يخصوا به زائرهم وجليسهم ، ويقتنعون بأنهم قاموا باجلال صاحبهم ، وفي الغالب انه لا يتم ذلك كله حتى يشدوا الداخل من يده أو يدفعوه في صدره ، اذا أبى مطاوعتهم على ما يخصونه به من الاكرام .

ولطالما ابتعدت عن الوقوع في حكم هذه العادات القبيحة التي تؤذي القادم على المجلس ، وتعطل وقته وأوقات من اجتمع فيه ، وقد لا انجو من هذا التكريم الذي لا معنى له الا بعد اسماع من يحاول شدي كلاماً قاسياً أدفعه به عني ، فأجلس حيث ينتهي بي المجلس ، على ما اهوى لا على ما يهوون ، لا استجيز اخذ مقعد أحد يعده المسكين مكاناً مشرفاً له ، ولا اختار موضعاً يأتي بعد لحظة شخص أكبر مني ، أو شيخ معمم متزمت أو احد من في قبضتهم الرواتب والمناصب من الحكام ، فاضطر الى أن اتنازل عنه مرغماً .

وكانت لطبقة الاعيان في مجالسهم عادة من أقبح ما يسجل من انواع العادات ، سرت اليهم من الترك العثمانيين غالباً ، وذلك ان تبدأ عمليةٌ أخرى ، بعد العملية المتقدمة التي كان فيها الدفع والجر والحلف ، لا تقل عن عملية اجلاسه غرابة ، وهي انهم اذا جلسوا يسودهم السكوت بضع ثوان ، وناظورة المجلس ، ومن كان في طبقته ومقامه يتغامزون ، ويسترحم الواحد من صاحبه ان يبدأهم بالسلام . فيصرف المتشاكلان في السن وقتاً حتى يتم السلام ، وينال الكبير في نظرهم هذا التشريف ، ويفض هذا الاشكال . وبعد ذلك يحق لأهل المجلس أن يسلم بعضهم على بعض . وكادت هذه العادة تبطل وهي من أسخف ما ألف المتنطعون .

وتجيء بعد ذلك مشكلة أخرى وهي تقديم القهوة للحاضرين ، وفيها ما يعبث أيضاً بآداب المعاشرة ، ويضيع على الحضور وقتهم . فيأتي من يقدّر الخادم او الخادمة انه كبير المجلس ، ويخصه اول الحاضرين بالفنجان الأول ، فلا يرضى اخذه فينشأ المناول يتنقل بما يحمل من ضيف الى ضيف ، فيأبى كل من يقدم اليه ... فنجانه ، ويشير بأن يخص بهذا الشرف من هو أكبر منه ، وتبدأ الأيمان والرجاآت وقد يقوم بعضهم من مكانه ويحمل فناجاً الى آخر يراه لائقاً بالاكرام ، وعندئذ يستقر الرأي على أن يتناول المقدمون أقداحهم ويتمتع الباقون بأخذها ، وذلك بعد أن ينفد الصبر وتبرد القهوة والشاي وغيرهما . وفي الغرب يتناول المرء ما يعرض عليه ، وقد يؤثرون السيدات بالتقديم ثم يأخذ الرجال بدون تفريق بين كبير وصغير ، ويرجع ذلك الى تقدير الساقي ؛ وقد اقتبسنا عن شيوخنا عادة البداءة بالميامن ، فيقدم الساقي القهوة او غيرها آخذاً من اليمين اي يمينه ، ولو كان المتناول الاول وليداً او وضيعاً بالقياس الى من في صدر المجلس ، وهي عادة مستحسنة توفر على الناس أوقاتهم وحلفهم وسخافاتهم ومشكلاتهم .

ومن منكر عاداتهم اذا اجتمعوا ان يخلطوا بين الأحاديث ، وقد يهمس الجار

وجاره ويخرجان عن ادب الجماعة ، هذا اذا لم يتكلموا كلهم معاً بحيث يضيع النظام ، كما كانت تختلط اصوات النسوان في الحمام .

ومن أبشع ما ألفوا من العادات عادة لهم يطبقونها في الشارع ، وذلك أن احدهم اذا لقي أحد معارفه ، وقد يكون هذا مع صاحب له أو أكثر ، ووقته يحفزه للاسراع ، فيستوقفه ويسأله أسئلة عرضت لخاطره في تلك الساعة ، ورفاقه ينتظرون الفرج لحلّ عقاله ليحلّ عقالهم معه ، وقد يكونون مثله ضيقاً وقتهم ، ويحاولون الوصول الى عملهم مسرعين . وربما كان ايقافه هذا لسؤاله عن الحوادث التي تنشرها الجرائد كل يوم ، او لأخذ رأيه في مسألة سياسية تشغل بال الناس ، ويحتاج الجواب عليها الى بضع دقائق أو اكثر ، او للتوسط لمبطل او للسؤال عن عاطل الى غير ذلك من التافهات . وكثيراً ما كان يستوقفني بعضهم فأمتنع من الوقوف ، وهم يقسمون عليّ بكل مغلظة من الأيمان أن أجيبهم الى سؤالهم في دقيقة واحدة فلا اجيب ولا أقف ، وجوابي وأنا مسرع الخطى ، ان الكلام في الموضوع لا يتأتى في الشارع وان مثل هذه المسائل يبحث بها في خلوة ، وفي وقت فراغ .

كنت في وزارتي الأولى خارجاً من داري صباحاً قاصداً مكتبي على قدميّ . وكان الشارع مكتظاً بالخلق ، والطريق يجري تعبيده ، والمعبدة [١] ذاهبة جائية ، وقضبان الحديد الطويلة محمولة على العجلات ، وعربات النقل تحمل الاحجار والاسمنت والجص ، والفلاحون آتون بحاصلاتهم الى الاسواق على بهائمهم ، ومركبات الترام واقفة لا تستطيع ان تتقدم ولا أن تتأخر . في هذه الحال من الازدحام المخطر اقترب مني أحد معارفي من متقاعدي ضباط الجيش العثماني ، وسألني حلّ قضية لأحد اقاربه ، فقلت له : تعال الي مكتبي نبحث في المسألة . فقال : أود أن تعطيني رأيك الأخير وتعاهدني على ان تسير بما يلتئم مع مصلحة نسيبي . فأجبته ان المسألة تحتاج الى ان ارجع الى اضبارة القضية ، وأظنني قلت ومراجعة القانون ، فقال : أنا اطلب منك ذلك لأملي فيك ، فقلت الآن يتعذر

(١) بالتشديد : آلة التعبيد

ذلك ، فأنت ترى أننا في خطر من هذا الزحام ، والفكر مصروف الى التوقي من الصدمات . فتأفف من كلامي ، وعندها قلت له متألماً من قلة ذوقه وتقديره للحال : أنت تخرجت من مدرسة نظامية ، وتوليت أموراً ادارية في الجيش فيما أحسب ، وتعرف اكثر من غيرك معنى الرجوع الى المعاملة الجارية ، فما هذا التحكم ؟

ويكثر مثل هذا المعجز ، وكانوا يلتمسون مني في الطريق أن اقضي لهم أشغالهم كما قد يطلبون الى الطبيب أن يعطيهم تذكرة يضعها لمداواتهم ، ويقرظونني ويقولون إن مسألتهم مهما كانت صعبة فبيدي حلها ، أو ما أشبه ذلك من عبارات الاغراء . كأن الوزير جاء ليعمل لأرباب المصالح بدون التقيد بالقوانين ، وليرضي كل انسان بما يحب بالحق والباطل . ولذلك اضطررت في الوزارة الثانية الى استصحاب شرطي ، وبخاصة اذا كنت وحدي سائراً على قدمي ، والعوام قد يرهبون الشرطي اكثر من الوزير ، لأن الشرطي يدفع عن مخدومه من يقع في نفسه دفعه ، وينحيه عنه بلطف أو بالعنف واذا اقتضى الحال يلطمه ويكتب فيه محضراً او ضبطاً ، أما الوزير المسكين فلا يستطيع عمل شيء من هذا ، وغاية ما يتطلب من حلم المراجعين ان يشخصوا اليه في مكتبه ، ومكتبه مفتح الباب لهم ساعات طويلة من النهار ، وهو وديوانه مستعدان لحل المشاكل ، وقد تقدم لهم القهوة والشاي والمرطبات ولفائف التبغ ويلاطفون ويؤانسون .

ووقاك الله من سخافات القوم في دعواتهم ، وفيها تتجلى درجاتهم في المدنية ، وتقرأ نفسياتهم الغريبة . فقد يدعو الرجل أحباباً او معارف له من مختلف الطبقات لا رابطة تربطهم ، ولا سبق لهم ان تعارفوا ، ويتفق ان يكون في المدعوين بعض المتعادين المتخاصمين او المتنافسين المتباغضين ، فتحصل سكتة في الجلسة ، ويقطب بعضهم وتهيج أعصاب آخرين ، ولا يهنأوهم الطعام والشراب ، ولا يطيب سمرهم وحديثهم وقد يقذف بعضهم بعضاً بتعريض مؤلم ، ويسمعه الفاظاً جارحة ، فيتألم المقذوف ، وتنقبض صدور من لا غرض لهم من المدعوين لسماع أشياء هم في غنىً عن سماعها

في مثل ذاك الوقت ، وهو وقت سرور وراحة ، وصاحب البيت يحار في ارضاء ضيوفه ، ويحاول التوفيق بين المتعادين .

وفي العادة ان يأتي المدعوون بعد الميعاد الذي ضربه لهم صاحب الدعوة ، وكثيراً ما يتخلف بعضهم الساعة والساعتين عن الوقت المقرر ، وصاحب المأدبة لا تسمح نفسه ان يقدم طعامه لمن اجتمع فيشتد بهم الجوع ، ولا يدرك الداعي انه باكراه من حضر على انتظار من تخلف يحتقر من لبى الطلب في الوقت المعين ويضيع عليهم اوقاتهم ، وقد تكون لهم مواعيد أخرى ، ولا يأذن باطعام مدعوويه الا اذا تم الحشد كله وربما حدثته نفسه أن يرسل ولده او خادمه يسأل عن المتخلف ويستحثه ، وفي الغالب ان المتخلف لا يعتذر شفاهاً ولا كتابة ، وعلى هذا يستلزم تناول وجبة من الطعام ان يصرف المدعوون بضع ساعات .

ومن المستحيل ضبط المواعيد بين كل الطبقات في هذا الشرق القريب ، لأن القوم ما عرفوا التوقيت ، وربما كان ضبط المواعيد مما يستغربونه ، وكلما تقدموا اشواطاً في مضمار الحضارة يحسنون المحافظة على أوقاتهم وأوقات غيرهم . ومسألة المواعيد من المسائل التي شغلت جانباً من وقتي ، وكنت آلم من الاخلال بها ، وقد تغلبت عليها وغرستها في صدور بعض الناشئة بصعوبات كثيرة ، ومن المتعذر التنظيم وسط الفوضى . وقد لقنت من أحاطوا بي ورأستهم ، وان شق عليهم عملي بادئ بدء ، ان يراعوا المواعيد ابداً لما في فوضى الاوقات من الضرر لهم ولغيرهم ، حتى لا يثبتوا بالاخلال بالأوقات انهم شعب منحط .

وتراهم الى اليوم متى اجتمع المدعوون على الخوان يشد بعضهم بعضاً ، فيجلسون من يحاولون اجلاسه في مقام التكرمة ، ثم يجلسون الأمثل فالأمثل بحسب نظرهم او عرفهم . وعاداتهم في تناول الطعام قد دخلها تحسين كثير ، فتراهم لعهدنا كالغربيين يجعلون أمامهم اطباقاً لكل شخص ، ومعها كأسه ومنديله ، وسكينه وملعقته وأدوات اكله ، يتناول كل انسان الكمية التي يبغيها ، يضعها في طبقه من الصحن

الكبير الذي يقدمه الخادم او غيره ، او يكون على متن المائدة مع سائر الصحون والاطباق ، وكان المدعوون كلهم قبل ٠٠٠ سنة يتناولون المرق والحساء وجميع السوائل من اناء واحد على نحو ما كانوا يتناولون المائعات ويشربون من اناء واحد ، وكان والدي وانا طفل يخص كل انسان من أسرته او ممن يدعوهم باناء يجعل لنا فيه حصتنا من المرق والحساء ، وبعض المدعووين يستغرب ذلك منه . وكانت سكاكينهم اصابعهم ، وملاعقهم حفناتهم ، والملاعق اذا وجدت فتكون من الخشب غالباً ، ولا يزال لها اثر في بيوت الفلاحين المعدمين ، واذا طعموا او شربوا سمعت لهم قرقرة على صورة مستنكرة تدل على جشع ونهم وسوء أدب وتهذيب

ومن عاداتهم اذا تناول احدهم كأس ماء أن يبادره الحضور كلهم بقولهم (هنيئاً) فاذا شرب على المائدة ثلاث مرات وكان مواكلوه عشرة أشخاص فقط يضطر الى أن يجيب كل واحد بمفرده (الله يهنيك)

ومن عادات الغرب الجيدة التي مرت الينا التأني في تناول الطعام واجادة المضغ والبلع ، وقلما يسمع من احدهم صوت ماضغيه عند التهام اللقمات او عند تناول الماء او الشراب او الحساء او المرق . ومعيب ان ينفخ احد على الشاي او اللبن الساخن او القهوة او غيرها حتى تبرد ، وعليه ألاَّ يتناول أشياء من الطبق العام الا بملعقة خاصة بالطبق نفسه ، ويدخر ملعقته وشوكته لطبقه الخاص ، فيأخذ ما يأخذ جرعة جرعة بدون ان يسمع صوت لما يكرع ويَشرُق ، ولا يمد يده زيادة عن اللزوم ولا يقف على قدميه لتناول ما بعد عنه من الاطباق والابازير والمشهيات والخبز والماء وغير ذلك مما يجعل على الخوان عادة ، وله أن يطلب ذلك بأدب وصوت خافت الى مجاوره ومواكله القريب وهذا يرى من واجبه ان يخدمه في ذلك ولو كان كبير المنزلة ، واذا تعديت حدود مقعدك فحاولت تناول شيء بعيد عنك يعد عملك احتقاراً له .

ومن ابشع ما يأتيه بعضهم التجشوء بصوت عال ، والتنخع بما يسمع صداه ، وان يعيد المتنخع طيّ المنديل الذين القى فيه نخامته ؛ اما البصاق على الارض والتمخط باليد كيف اتفق ، وادخال الأنامل في الأنف لاخراج النخامات او ادخال اليد في الاذن لاستخراج اوساخها فمن أبشع العادات وأضرها ، فعلى ادارة الصحة منعها ومعاقبة من يأتيها من العامة . وعلى المجالس البلدية أن تعاقب في المدن والقرى كل من يخرج الى السوق بمنامته (بيجامته) فثوب النوم لا يجوز أن يظهر به في الشارع إنسان يحترم نفسه .

ومما يستنكر أن يضع الجالس يديه على المائدة ويضغط عليها بكليته وان يؤذي جاره برجليه ويديه . ويستنكرون تشديد الداعي على احد مدعوويه لتناول لون لا تميل اليه نفسه ، والزيادة من لون تخطاه وما استطابه ، واكراهه على أخذ قطعة من الحلوى يعتقد ان معدته لا تحتملها وتضطره من الغد الى مراجعة الطبيب . وكم تحلف أيمان وطلاقات في مثل هذه الاحوال حتى ينزل المدعو على ارادة الراغب ويتناول بالاكراه ما يحب له صاحب المائدة .

ومن عاداتهم في المآتم وخصوصاً في دمشق أن يجري العزاء ثلاث ليال على الميت ، فيأتي الى داره أصحابه ومعارفه ويستقبلهم اولاده واخوته وأبناء عمه وأهله ، ولا يجري حديث سوى السلام ثم تناول القهوة واللفائف ، على حين أن آل الفقيد هم في حاجة ماسة الى من يسليهم ، ويحول مجاري أفكارهم ، ويهون عليهم مصابهم ، والرجال في هذا الباب كالنساء ، الا أن النساء لا يتناولن القهوة ولا اللفائف في وسط الجمع ، وهذا من أسخف ما يدون أيضاً كأن المعزين يقولون بلسان الحال : ها قد جئناكم وعزيناكم . هذا ولو جلسوا دقيقة واحدة ، والغالب أن الجلوس لا يتجاوز مقداره دقائق قليلة ، واذا كان المعزّى به جليل القدر بين قومه ، فالمعزون به كثيرون ، والمكان مهما اتسع لا يستوعب القادمين في ساعة واحدة .

هذا وصف قليل من عاداتنا وهو موضوع جدير بأن تكتب فيه الكتب والرسائل وتوضع في بيانه الخطب والمحاضرات ، ومن حسن الحظ أن عادات الافرنج التي تعبوا أحقاباً في اصلاحها حتى وصلت الى ما وصلت اليه من الكمال في الجملة أخذت تسري الينا من حيث لا نشعر ، وتدخل علينا من طرق مختلفة ، من طريق الاختلاط بالغربيين او بالرحلة والسياحة او بالهجرة ، او من طريق التعليم في المدارس ومن الاختلاف الى الفنادق والمطاعم التي ينزلها الاجانب ، وقد تسوغنا بعضها وتمثلنا بعضها ، لما حوت من اليسر والنفع . فمن عاداتهم الحسنة التأنق في تناول الطعام على الموائد ، وايراد أجمل الاحاديث عليها ، والتلطف بكل ما يؤكل بأداة ليسلم من مس الايدي ما أمكن ، هكذا يتناولون الابازير والتوابل والسكر والحلويات ، ويحتاط المتآكلون فلا يأتي أحدهم ما يؤذي جليسه وعلى العكس يخدمه ويتعهده ولا يرتكب ما يخالف به قواعد الصحة وآيين الذوق السليم .

لا جرم أن تأصيل هذه العادات يحتاج بادئ بدء الى تعب حتى تتعلمها البيوت اولاً وينشأ عليها البنون والبنات ، وهي تتوقف على معدات وأدوات ، وعلى عقل يدبرها وتربية تتمثلها . ولا يحصل الهناء في العيش بغير ترتيب ونظام . ومهما صعب الأخذ بهذه المذاهب فهي محمودة العاقبة لمن يمارسها ، محببة الى نفس كل عاقل تسمو نفسه الى الكمال ، وترغب في مراعاة قواعد الصحة والذوق لتتم له شروط الرفاهية والنعيم . ومن دواعي الاغتباط ان رأينا هذه العادات تسري في القرى التي كثر فيها العائدون من المهجر او الذين ألفوا الاختلاط بالعناصر الغربية كأهل الساحل وسكان الحواضر الكبرى . وقد شهدتها في بيوت ما كنت أظنهم اقتبسوها . في امثال الافرنج : قل لي من تعاشر أقل لك من أنت . ثم قاسوا عليه معنى آخر فقالوا : قل لي ما تأكل أقل لك من أنت ، ونحن نقول أرني كيف تعاشر أقل لك من أنت .

محمد كرد علي

المغْرِب في ترتيب المُعرِب

هو كتاب لغوي كثير الفوائد تأليف الشيخ برهان الدين ناصر ابن ابي المكارم عبد السيد بن عليّ المطرّزي صاحب (المغرب) و (الاقناع في اللغة) و (الايضاح في شرح المقامات الحريرية) و (مختصر اصطلاح المنطق) و (المصباح) في النحو ٠

ولد برهان الدين سنة ٥٣٦ ﻫ (١١٤١ م) بجرجانية خوارزم وقرأ على أبيه عبد السيد ببلده ورحل في طلب العلم فدخل بغداد سنة ٦٠١ ﻫ (١٢٠٤ م) وتفقه على البقالي تلميذ الزمخشري فكان اماماً في الفقه والعربية واللغة وتوفي سنة ٦١٠ ﻫ (١٢١٣ م) ٠

وقفت على نسخة منه نفيسة في احدى المكاتب نسخها بقلمه بخط فارسي جميل بالحبرين الاسود والاحمر حسام النجاري سنة ٩٩٧ ﻫ (١٥٧١ م) وقابلها وصححها من نسخة مضبوطة كتبت سنة ٧٠٠ ﻫ (١٣٠٠ م) ٠ وهي من مخطوطات الكونت رشيد الدحداح اللبناني نزيل باريس وناشر بعض الكتب فيها

وهي بقطع الثمن الكبير في ٤٢٨ صفحة وعلى هوامشها تعاليق كثيرة لغوية ذات فوائد جديرة بالمطالعة ، وفي أولها وآخرها بحوث ذات شأن وللمغرب ذيل بعنوان (رسالة في النحو) من صفحة ٤٠٠ — الى آخر الكتاب وفيها ضوابط كثيرة في الصرف والنحو واللغة ، والالفاظ مرتبة على حروف الهجاء بحسب أوائلها لا بحسب اشتقاقها ٠

نخبة من الكتاب

في صدر الكتاب قبل المقدمة بحث في (الزنديق) ننقله بحروفه وهو من (مجموعة شهاب الدين افندي المتقاعد في المصر) جاء فيه ما نصهُ :

زنديق

ليس من كلام العرب انما تقول العرب رجل زندق وزندقي أي شديد البخل ، واذا أرادوا ما تقول له العامة (ملحد) قالوا (دَهري) واذا ارادوا السن قالوا (دُهري) بالضم للفرق بينهما ، والهاء في زنادقة وفرازنة عوض عن الياء عند سيبويه

قال ابو حاتم : هو فارسي معرّب (زنده كرد) اي عمل الحياة لأنه يقول ببقاء الدهر ودوامه

وقال الرياشي : هو مأخوذ من قولهم (رجل زندقي) أي نظار في الامور

وقال غيره : معرّب (زنده) اي الحياة — وقيل : هو معرب • أي متدين بكتاب يقال لهُ : (زند) ادعى المجوس انه كتاب زرادشت ثم استعمل في العرف لمبطن الكفر

وقال الجوهري : الزنادقة الثنوية وتزندق الرجل والاسم الزندقة

وفي القاموس : هو معرب زندين — وقيل : هو وهم والصواب معرّب (زنده)

وفي المغرب : هو من لا يؤمن بالوحدانية والآخرة

وعن ثعلب : هو الملحد الدهري — وعن ابن دريد : هو القائل بدوام الدهر معرب (زنده) كتاب لمزدك — وخطأ بعضهم من قال : انه معرب زندي لأن الياء لمطلق النسبة والهاء لنسبة مخصوصة مثل بنفجه وبنفشه وليس بشيء ، ولعبد الوهاب البغدادي :

بغداد دار لاهل المال طيبة ... وللمفاليس دار الضنك والضيقِ
اصبحتُ فيها مضاعاً بين اظهرهم ... كأنني مصحف في بيت زنديقِ

— وفي المثل : (اظرف من زنديق) انتهت

وهذه نخبة من الألفاظ المشروحة في الكتاب :

الأُتون

مقصور مخفف على (فَعول) موقد النار ، ويقال له بالفارسية (كُلْخن) وهو للحَمّام ويستعار لما يطبخ فيه الآجرّ ، ويقال لهُ بالفارسية (تُوْتق) و (راشون)[١] والجمع (أتاتين) بتاءين باجماع العرب عن الفراء

الأَزَج

بيت يبنى طولاً يقال لهُ بالفارسية (أوستان) و (سَغْ) و (كَمرا)

الإزار

ضرب من اجود التمر . قولهم (اتزر) عامي والصواب (إيتزر) افتعل من الازار اصلهُ (ائتزر) بهمزتين الأولى للوصل والثانية فاء افتعل . و (تأزير الحائط) أن يصلح أسفله فيجعل له ذلك كالإزار ومنهُ قوله: أزّر حيطان الدار الموقوفة مازورات

إطار

اطار الشفة ملتقى جلدتها ولحمتها مستعار من اطار المنخل او الدفّ وذكر الازهري: كان عمر بن عبد العزيز (رح) سُئل عن السنة في قص الشارب — فقال : أن تقصه حتى يبدو الإطار — واما (اللطار) كما وقع في بعض نسخ احكام القرآن فتحريف ظاهر .

أوى

وابواء خشب الفحم ان تلقي عليه التراب وتستره به مأخوذ منه — وعليه قوله : يحسب بثمن الحطب وأجر الابواء واجر الموقد واجر الاتون

البيوتات

جمع بيوت جمع بيت وتختص بالاشراف

(١) في الأصل (داشوزن) وصحح في الحاشية بالراء

الخجالة

الخجالة من خطأ العامة والصواب الخجلة (او) الخجل

الزطّ

الزط جيل من الهند اليهم تنسب الثياب الزطية [1]

زمّله

في ثيابه ليعرق اي لفهُ

الشمراخ

هو في عدة السنة الشمسية ثلاث مائة وخمسة وستون يومـاً وربع اليوم الا جزءاً من ثلاث مائة جزء من يوم

وفي القمرية ثلاث مائة واربعة وخمسون يوماً وخمس يوم وسدسه وفضل مابينهما عشرة أيام وثلث وربع عشر يوم بالتقريب على رأي بطلميوس [2]

ضبّب

اسنانه بالفضة اذا شدها بها

الطحانة

وفي كتب الشروط الطحانة ما تسيره الدابة والطاحونة ما يديرهُ الماء · ودلوها ما يجعل فيه الحبّ

---

(١) الزط من أسماء النَوَر أو النجَرَ وهم من قبيلة (جتّ) الهندية كانت كثيرة الثورات فطردت وتفرقت إلى بلاد فارس أولاً فسموها (الزطّ) ولها أسماء كثيرة في البلدان التي احتلتها في آسيا وافريقية واروبا واميركا ·

(٢) هكذا وردت بتقديم الميم على الياء وهو الصواب ·

العباية

كساء واسع مخطط والعباءة لغة فيها والجمع عباء

الفالج

في التهذيب : الفالج نصف الكرّ الكبير . و (الفلجَ) المكيال الذي يقال لهُ بالسريانية (فالغا) . ومنه حديث عمر (رض) انه بعث حذيفة وابن حنيف الى السواد (ففلجا) الجزية على أهله اي فرضاها وقسماها وانما أخذوا القسمة من هذا المكيال لأن خراجه كان طعاماً

وقيل : (الفلج) القسمة عن شِمْر . يقال : فلجت المال بينهم أي قسمته . وفلجت الشيء فلجين أي شققته نصفين .

ومنه (الفالج) في مصدر المفلوج لأنه ذهاب النصف (عن أبي دريد) . و(الافلج) المتباعد ما بين الرجلين . واما (المفلج) الاسنان فلا يقال الاّ أفلج الاسنان (ابن مسعود) . و (استفلجي) بامركِ أي فوزي بامرك واستبدي به من الفلاح وهو الفوز بالمطلوب . ومدار التركيب على الشق والقطع . ومنه الحديث (بالحديد يفلج) . و (الافلح) المشقوق الشفة السفلى وبه سمي ابو القعيس او اخو ابي القعيس عم عائشة (رض) من الرضاعة ، وفي غير الحديث استفلجي بالجيم من الفلج وهو الظفر

فلع

تفلّع رأسه اي تشقق وأما تفلعت اليد اذا تشققت فهو بالقاف (عن الغوري)

القثاء

معروف . و (القثد) الخيار (عن ابن الاعرابي) وتفسير القثاء بالخيار تسامح

القدح

(عن الليث) : أكال يقع في الشجر والاسنان .
و (القادحة) الدودة التي تأكل الشجر والسن و (عن الغوري والجوهري) :
القادح سواد يظهر في الاسنان وانشد بيت جميل :

رمى الله في عينيْ بثينة بالقذى وفي الغرّ من انيابهـا بالقوادح
رمتني بسهم ريشه الكحل لم يضرْ ظواهر جلدي وهو في القلب جارحي

قمع

السرّة ما يلتزق بها حول علاقتها ، ومنه قمع الباذنجان وأصله من القمع وهو ما يُصبّ فيه الدهن ، ومنه : ويل لاقماع القول وهم الذين يسمعون ولا يعون

القنب

قال الكرخي في القنب : انه لحاء خشب ويجب في حبه وهو (الشهدانج) —
قال الدينوري في (كتاب النبات) : القنب فارسي وقد جرى في كلام العرب وهو
:ات تدق سوقه حتى ينتثر حتاهُ (أي تبنه) ويخلص لحاؤهُ . ويقال حبال القنب
ىو الذي يتخذ من الكتان واسم بزره بالفارسية (زغبرة)

قنَعَ

فم مقنع الاضراس أي مماها الى داخل

الماذيانات

هي جمع الماذيان وهو أصغر من النهر وأعظم من الجدول فارسي معرّب . وقيل
ما يجتمع فيه ماء السيل ثم تسقى منه الارض .

مشت

المرأة مشأ كثر أولادها . وناقة ماشية كثيرة الأولاد . ومنه الماشية والمواشي على التفاؤل وهي الابل والبقر والغنم التي تكون للنسل والقنية

نمص

النمص نتف الشعر ومنه (المنماص) المنقاش

نام

إنامة الزراجين دفنها وتغطيتها بالتراب مجاز

الوغم

ما بقي من الطعام في الفم

(الوكادة) بمعنى التوكيد غير ثبت (وعلي الهامش) قولهُ : لم يكن منك الوكادة أي التأكيد . ولا يوجد في كتب اللغة ولا في استعمالات العرب . الاَّ أن المصنف ثقة في اللغة يكفي استعمالهُ ، فهو مصدر من وكد وكدهُ أى قصد قصدهَ ، استعمله في التأكيد لما بينهما من (التلبس) (من شرح الكشاف لسعد الدين) .

هذه أمثلة قليلة من (كتاب المغرب) تظهر شيئًا من أسلوبه وأما كتاب الذيل في آخره فهو (رسالة في النحو) ذات فوائد في تأنيث الأسماء وجمعها واختصاصها تشتمل على فوائد كثيرة ونوادر وشوارد في الاشتقاق والاصول

وهذا الكتاب أشبه بكتاب (المعرَّب) للشيخ أبي منصور موهوب بن احمد بن محمد بن الخضر الجواليقي المتوفى سنة ٥٣٩ هـ (١١٤٤ م) وقد وقعت لي نسخة كاملة منه بقطع النصف منقولة عن نسخ اقدمها نسخة بخط محمد بن صدقة بن علي بن صدقة سنة ٥٢٩ هـ (١١٣٤ م) وعليها خطوط العلماء الذين نقلوها وقرأوها على المؤلف .

ونحن بحاجة الى الوقوف على مثل هـذه المؤلفات النفيسة في اللغة والمعربات والمصطلحات ، ولا سيما في خزائن مجامعنا العلميـة لتساعد على الاوضاع الحديثة وتكشف القناع عن أسرار الاستعمالات قبلاً ، ومن أواخرها كتابا (غلطات العوام) و (التعريب) لابن كمال باشا وفي خزانتي منهما نسختان مضبوطتان ، وهناك مؤلفات كثيرة في هذا الباب لا محل الآن لتعدادها ووصفها .

ولقد كتب كثير من علمائنا المتأخرين والمعاصرين بحوثاً مفيدة في الوضع والتعريب في الجرائد والمجلات والكتب ، ولا سيما المجامع العلمية في الشام ومصر ومجلاتها واختلفت الآراء في كثير منها فلا ينتشر الا ما كان موافقاً لذوق اللغة والعصر وقريباً للافهام ووافياً بالغرض وبقي الآخر مهملاً . واللغات تحتاج الى التوسع بما يوافق اساليبها ولا يضرّ باصولها من الأوضاع أو التعريب عن اللغات كما فعل أسلافنا في العصور الأولى وما بعدها والله الموفق الى سواء السبيل بمنه وكرمه .

المعلوف

عائشة الباعونية

تمهيد

حفزني الى نشر ترجمة عائشة الباعونية الدمشقية في مجلة المجمع العلمي العربي الدمشقية حوافز عدّة أهمها هذه النهضة النسائية القائمة على ضفاف بردى والتي نرجو ان تنجب لنا أمثال عائشة وسميتيها ومواطنتيها عائشة بنت علي بن محمد بن عبد الغني ابن المنصور الدمشقية ، وعائشة بنت محمد بن عبد الهادي بن قدامة المقدسي الصالحية الحنبلية ، بل مثل امّ المؤمنين عائشة بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنها وزوج النبي الكريم التي علمتنا من أمور ديننا ما لم نعلم ، وروت لنا ما يربي على الألفين من أحاديثه صلى الله عليه وسلم ، واشتركت في الوقائع والكوائن وكانت فصيحة الكلام صحيحة المنطق ، راجحة العقل ، سريعة البديهة ، بل كان بيانها السحر الحلال .

ومن تلك الحوافز ان يعلم فتياتنا النواهض ان الله لا يضيع أجر عامل ، وان التاريخ يحفظ للمرأة حقها كما يحفظه لشقيقها الرجل ، والنساء كما قال الرسول الأعظم شقائق الرجال وان العلماء يقدرون المرأة الفضلى حق قدرها ، ويحلونهـا المحل الأرفع من التجلة والحرمة الوافرة في حياتها ، كما أنهم يترجمون لها ويوفونها قسطها من الاجلال والاكبار بعد مماتها .

ومنها أن يتعلمن الجرأة وركوب مراكب الاغتراب في طلب العلم ونيل الأماني من المترجم لها ، التي حُملت الى القاهرة وهي في ميعة الشباب فنالت الحظ الأوفر من العلوم ، ثم دخلتها وولدها لقضاء مأرب له وهي كهلة ، وقارظت العلماء الشعر فقرّظوها وأثنوا عليها بما هي أهله .

وان يقلدنها بذلك الطموح الذي حملهـا على الذهاب الى حلب للمثول بين

يدي السلطان الغوري أحرص الملوك المصريين على كرامة امته واشدهم اندفاعاً في الدفاع عن بلاده في السنة التي جاست بها جيوش العثمانيين خلال ديار الشام ، ووطئت سنابك خيولهم ارضها في مرج دابق ، وقضت على سلطانه الواسع العريض فيها وفي مصر والحجاز مما نستدل معه على ان الباعونية كانت لا تبالي بالحوادث والكوارث وهو ما نتمناه لفتياتنا اليوم .

ومنها أن نعلم ان المترجم لها قد أنشأت المولد النبوي الشريف سنة ٩٠١ هـ ١٤٩٥ م ، وانها نظمت بديعيتها وشرحتها سنة ٩١٩ هـ ١٥١٣ م وان نقرأ كلامها العذب الذي اختتمتها به .

ومنها ان الذين ترجموا لهـا من المتأخرين مثل البستانيين[١] وزينب بنت علي فواز العاملية[٢] وادوار فنديك[٣] وجرجي زيدان[٤] ومحمد كرد علي[٥] ويوسف اليان سركيس[٦] كانوا عيالاً على من تقدمهم من المترجمين كما كان مثلهم محمد ذهني[٧] وشمس الدين سامي[٨] الأعجميين اللذين ترجما لها ولم يلموا بجميع أحوالها .

لذلك كله أردت أن انقل من كناشي ما كنت دوّنته عن بديعية الباعونية واردفها بترجمة حياتها عن أقدم مترجميها فأقول :

نسخة مخطوطة من البديعية وشرحها . — كنتُ اطلعت في خزانة الكتب الخالدية ببيت المقدس على نسخة مخطوطة من بديعية عائشة الباعونية وشرحها نقلت

(١) دائرة المعارف جزء ١١ صفحة ٤٦٩
(٢) الدر المنثور في طبقات ربات الخدور ص ٢٩٣
(٣) اكتفاء القنوع بما هو مطبوع ص ٣٦١ و ٣٩٣
(٤) تاريخ آداب اللغة ج ٣ ص ٢٧٤
(٥) خطط الشام ج ٤ ص ٦٠
(٦) معجم المطبوعات العربية والمعربة ص ٥١٩
(٧) مشاهير النساء « أي شهيرات النساء » بالتركية ج ٢ ص ١٠
(٨) قاموس الأعلام ج ٤ ص ٣٠٥٦

عن نسخة المؤلفة التي نظمتها وشرحتها سنة ٩١٩ هـ ١٥١٣ م ، وقد نقلها ناسخها في اليوم التاسع من شهر رمضان سنة ٩٢٢ هـ ١٥١٦ م وهي السنة التي توفاها الله فيها وذيلها بما كانت كتبته المؤلفة بآخرها اذ قالت :

كلمة المؤلفة الختامية . – «نجزت كتابتها بمنة الله تعالى على يدي أضعف اماء الله تعالى وأحوجهن الى رحمته ، من أهلها الله تعالى لمدح خير بريته وأشرف اهل الاصطفاء لرسالته ، عبده الأكرم ورسوله الأعظم صلى الله عليه وسلم وشرّف وكرّم وعظم بهذه القصيدة المذكورة والمنظومة التي أرجو من كرم الله تعالى أن تكون في الملاء الأعلى مشكورة خادمة المقام المحمدي المصطفوي سراً وعلنا ، والمغمورة منه بالحسنى وزيادة آلاءً ومنناً ، عائشة العائشة باتصال مدده المتروّية على يده بنت خادم شريعته يوسف ابن خادم شريعته أحمد بن ناصر الباعوني الشافعي لطف الله بها وبولدها وبالمسلمين والمسئول من الله تعالى أن يجدي عوائد مبراته واحسانه ولطائفه وحنانه أبداً أبداً باقياً سرمداً .»

وكتب ناسخها بعد ذلك :

تعليق الناسخ . – علقها لنفسه ولمن شاء الله من بعده أفقر عباد الله وأحوجهم الى مغفرته محمد بن احمد بن يحيى الانطاكيّ ستر الله عيوبهم وغفر ذنوبهم . »

تقريظ أحد متملكيها . – وكتب أحد من تملكوا تلك النسخة يقول للمحرر السيد أبي بكر :

أتت ببديعٍ لو رآه ابن حجة لأذعن انّ الفضل حازته عائشهْ
فقد عشتِ في روض الجنان عزيزة كما كنت في روض البلاغة عائشهْ

كتب المترجم لها المطبوعة . –وبالرغم من شرح بديعيتها المسمى الفتح المبين في مدح الأمين طبع أولاً في بولاق سنة ١٢٩١ هـ ١٨٧٤ م وبهامشه رسائل

بديع الزمان الهمذاني ، وثانياً في مصر بهامش خزانة الأدب لابن حجة الحموي سنة ١٣٠٤ هـ ١٨٨٦ م فاننا عرضنا له بهذه الكلمات التي استفدنا منها معرفة تاريخ نظم البديعية وشرحها .

وعلى ذكر البديعية نقول أن مؤلفها في «مولد النبي» عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم قد طبع أيضاً في دمشق سنة ١٣٠١ هـ ١٨٨٣ م

مؤلفاتها المخطوطة الموجودة الآن . ولم يبق من مؤلفاتها الباقية الى الآن بدون طبع سوى ديوانها المسمى «فيض الفضل» منه نسختان احداهما كتبت سنة ١٠٣١ هـ ١٦٢٢ م ونسخة ثالثة كتبت أيضاً في السنة المذكورة في الخزانة التيمورية ، وفي تلك الخزانة الغنية أيضاً نسختان مخطوطتان من شرحها على بديعيتها الأولى كتبت سنة ١٠٢٦ هـ ١٦١٧ م ضمن مجموعة ، والثانية حديثة كتبت سنة ١٢٦٧ هـ ١٨٥١ م

كتاب بخط المؤلفة . — ولعل من أجمل ما تحويه الخزانة التيمورية هو المولد النبوي الذي أنشأته وأسمته «المورد الأهنى في المولد الأسنى» والنسخة بخط يدها كتبتها سنة ٩٠١ هـ ١٤٩٥ م وقد ذكر لي المرحوم صاحبها بكتابه أن خطها في غاية الحسن وانها صارت تلحق بآخر النسخة تواريخ مواليد أولادها ، وكانت متزوجة من أحد الشرفاء لأنها كلما ذكرت ميلاد أحدهم قالت ولد لي السيد الشريف فلان في تاريخ كذا

ترجمتها . — أما ترجمتها فلخصناها عن كتاب الكواكب السائرة بمناقب أعيان المئة العاشرة لمحمد بن محمد نجم الدين الغزي العامري الدمشقي المتوفى سنة ١٠٦١ هـ ١٦٥١ م وهو أقدم من ترجم لها قال[١] :

«عائشة بنت يوسف بن احمد بن ناصر الشيخة الأديبة العالمة العاملة ام

(١) نسخة الخزانة التيمورية بالقاهرة

عبد الوهاب الصوفية الدمشقية بنت الباعوني احدى أفراد الدهر ونوادر الزمان فضلاً وعلماً وآداباً وشعراً وديانةً وصيانةً .

تنسكت على يد الشيخ السيد الجليل اسماعيل الخوارزمي[1] ثم على خليفة المحيوي يحيى الأرموي ثم حملت الى القاهرة ونالت من العلوم حظاً وافراً وأجيزت بالافتاء والتدريس ، وألفت عدة كتب منها الفتح الخفي[2] يشتمل على كلمات لدنية ومعارف سنية ، وكتاب الملامح الشريفة والآثار المنيفة ، يشتمل على انشادات صوفية ومعارف ذوقية ، وكتاب در الغائص في بحر المعجزات والخصائص ، وهو قصيدة رائية . وكتاب الاشارات الخفية في المنازل العلية ، وهي أرجوزة اختصرت فيها منازل السائرين للهروي ، وأرجوزة أخرى لخصت فيها القول البديع في الصلاة على الحبيب الشفيع للسخاوي وبديعية وشرحها وغير ذلك ومن كلامها الخ .»

وبعد أن نقل عبارة لها وصفت فيها نشأتها الصوفية قال : «ولما دخلت القاهرة ندبت لقضاء مأرب لها يتعلق بولد لها كان في صحبتها المقر ابو الثناء محمود بن أجا الحلبي صاحب دواوين الانشاء بالديار المصرية فأكرمها وولدها وأنزلها في حريمه وكانت قد مدحته بقصيدة أولها :

روي البحر أسباب[3] العطا عن نداكمُ ونشر الصبا عن مستطاب ثناكم

فعرضها على شيخ الأدباء السيد الشريف عبد الرحيم العباسي القاهري[4] فأعجب بها فبعث اليها بقصيدةٍ من بديع نظمه فأجابت عنها بقصيدة مطلعها :

وافت تترجم عن حبرٍ هو البحرُ بديعة زانها مع حسنها الخفرُ

ثم أورد لها قصيدة لامية مطلعها

---

(١) في الدر المنثور في طبقات الخدور ص٢٩٣ الحوراني

(٢) في الأصل الحنفي وما نخاله إلا من خطأ الناسخ (٣) في شذرات الذهب المخطوط أصباب

(٤) هو عبد الرحيم بن عبد الرحمن أحمد العبادي العباسي المتوفى سنة ٩٦٣ ﻫ ١٥٥٦م وترجمته في الشقائق النعمانية في علماء الدولة العثمانية المطبوع بهامش وفيات الأعيان طبع بولاق ج ١ ص٦٦٥ وكذلك في ريحانة الألبا وزينة الحياة الدنيا للخفاجي ص ٢٦١

قل لمن بالقريض بزّ الفحولا   وانثنى عن قصورهم مستطيلا

وقصيدة أخرى مطلعها :

ليهنك مجد طارف وتليد   يخصك آباء به وجدود

وغير ذلك الى أن قال :

«وذكر ابن الحنبلي : أن صاحبة الترجمة دخلت حلب في سنة ٩٢٢ والسلطان الغوري بها لمصلحةٍ لها كانت عنده فاجتمع بها من وراء حجاب البدر السيوفي وتلميذه الشمس السفيري وغيرهما، ثم عادت الى دمشق وتوفيت بها في هذه السنة اهـ .»

وقد ترجم لها أيضاً عبد الحي بن احمد بن محمد العكري بن العماد الحنبلي المتوفى سنة ١٠٨٩ هـ ١٦٧٨ م في كتابه «شذرات الذهب في أخبار من ذهب» وذلك بنقله ترجمة الغزّي المتقدمة لها .

وتعرّض صاحب شذرات الذهب لذكرها في ترجمة محمود بن أجا صاحب ديوان الانشاء بمصر المتوفى سنة ٩٢٥هـ ١٥١٩م [1] فذكر نزولها بداره بالقاهرة ومدحها له وما كان من اكرامه لها .

مؤلفاتها الأخرى . — ومما يؤسف له أن تفقد سائر مؤلفاتها التي أوردها الغزي في ترجمتها .

بلاغة شعرها . — ولها بيتان من الشعر قالتهما في جسر الشريعة لما بناه الملك الظاهر برقوق هدما كثيراً مما شيده فحول الشعراء من البيوت وهما :

بنى سلطاننا برقوق جسراً   بأمر والأنام له مطيعهْ

مجازٌ في الحقيقة للبرايا   وأمرٌ بالمرور على الشريعه

ولها في الغزل باع طويل وخيال واسع ومن غزلها :

كأنما الخال تحت القرط في عنقٍ   بدا لنا من محيا جلّ من خلقا

(١) كان قاضي قضاة الحنفية بحلب ثم ولي كتابة السر مدة ست عشرة سنة وكان آخرهم في الديار المصرية وكان نافذ الكلمة وافر الحرمة حشماً فاضلاً أصيلاً عريقاً .

نجم غدا بعمود الصبح مستتراً   خلف الثريا قبيل الشمس فاحترقا

اما بديعيتها التي تقدم الكلام عليها فمطلعها :

في حسن مطلع أقمار بذي سلم   أصبحت في زمرة العشاق كالعلم

قرية باعون . — باعون التي تنتسب اليها عائشة — على ما حققها بطرس البستاني مؤلف دائرة المعارف المتوفى سنة ١٣٠١ هـ ١٨٨٣ م[١] — هي قرية صغيرة من قرى عجلون عدد بيوتها في زمن المؤلف كان ١٣ بيتاً فقط .

قلنا وهي من أعمال حكومة شرق الأردن اليوم وقد نبغ فيها جمال الدين الباعوني الذي قرر في أواخر سنة ٨٥٩ هـ ١٤٥٥ م في قضاء الشافعية بدمشق وشمس الدين محمد بن احمد بن محمد بن احمد الباعوني الشافعي المتوفى سنة ٨٧١ هـ ١٤٦٦ م وابن اخيه محمد بن يوسف بن احمد المتوفى سنة ٩١٠ هـ ١٥٠٤ م .

والراجح أن هذا الأخير هو أخو عائشة المترجم لها كما أن شمس الدين عمها ونبغ بعد هؤلاء القاضي صلاح الدين زين العابدين الذي أقام بصالحية دمشق وولي نيابتها مدة طويلة ثم توفي سنة ١٠٣٦ هـ ١٦٢٦ م رحمهم الله رحمة واسعة .

عبد الله مخلص

(١) دائرة المعارف ج ٥ ص ١١٦

مخطوطات ومطبوعات

سيرة احمد بن طولون

تأليف أبي محمد عبد الله بن محمد المديني البلوي

حققها وعلق عليها محمد كرد علي

ونشرتها المكتبة العربية في دمشق وطبعتها في مطبعة الترقي سنة ١٣٥٨ ﻫ في ٤٠٠ ص

ليس لدينا عن احمد ابن طولون مؤسس الدولة الطولونية في مصر والشام مادة ينتفع بها في تصور حقائقه وحقائق عصره ، وغاية ما أثر له شذرات مفرقة في بطون التاريخ ومنها رسالة نشرها الاستاذ فولرس لأحمد بن يوسف الكاتب المعروف بابن الداية اقتطعها من كتاب المغرب في حلى الغرب . ومن جملة مخطوطات دار الكتب الظاهرية بدمشق كتاب سيرة احمد بن طولون للبلوي من أهل القرن الرابع ألفه على ما يظهر حوالى نحو نصف قرن من وفاة ابن طولون ، وانتفع بما كتبه ابن الداية وغيره مما لم يصل إلينا برمته ، وقد أشبع البلوي الكلام في تاريخه وجوّد ، وربما فاق ابن الداية في التاريخ لابن طولون ، وان لم يخرج عن أسلوب المؤرخين في عصره من ايراد الحوادث والبعد عن التفلسف فيها وترك القارئ يعمل فكره في مضامينها . وقد صان البلوي قلمه عن نقد ابن طولون واشار اشارات خفيفة الى مساوئه ، أما المحاسن فقد أبلغ في بسطها واتى باكثرها في قصص تعشق النفس تلاوتها واستعادتها لجمعها بين الكتابة العالية والفوائد الادارية والسياسية والتاريخية المهمة ، ومنها المبتكر الذي يأخذ بمجامع النفس .

وقد وقفنا في هذا السفر على أمور تفرد بها ابن طولون في السياسة والادارة ومنها عنايته بوضع الأضابير والجزازات *Les dossiers et les fiches* فكان حيث انقلب يصحبه كاتب يدون كل ما يقوله وما يقال في حضرته ثم يخلو بكاتبه ويصلح

ما كتب ليحفظ مع الكلام الذي القي على مسامعه ، ومنها أنه كان أول من استأثر بتأليف جيش محلي في الدولة العباسية وبذلك استطاع أن يعمل حراً في مصر . ومنها انه قعد للمظالم مرتين في الاسبوع على ما كان الخلفاء في بغداد ودمشق ينظر في المسائل الادارية التي كانت خارجة عن نطاق القضاء ، ومنها أنه أول من أسس ديوان الانشاء في مصر ، وكان هو نفسه منشئًا وخطيباً بالعربية وشاعراً بلغته التركية . ومنها انه يعنى عناية فائقه بأخذ الأخبار وقد وضع دواوين الجواسيس ينفق عليها نفقات طائلة لذلك كان يرهبه أصحاب الخلافة في بغداد وصاحب الروم في القسطنطينية ولو عاش لنزع يده من خلفاء بغداد واستوى ملكاً مستقلاً من كل وجه لأن المصانع التي أسسها والأوضاع التي وضعها في تأسيس مملكته ودار ملكه تشعر بذلك الى حد بعيد .

والى القارئ نموذجاً من أسلوب المؤلف وكتابته وصورة صغيرة من ادارة ابن طولون ، نجتزئ بهـا ونحيل من يهمه موضوعه أن يرجع إليه ففيه فائدة كثيرة وتسلية عظيمة ، قال البلوي ومن ذلك ماحدث به سعد الفرغاني :

ركب أحمد بن طولون يوماً الى الجيزة ، وكان رسمه اذا قرب من الجسر أخلي له ، فلما بلغ اليه أمر الناس بأن يسرعوا المجيء عليه وأعجلوا ، فلم يبق عليه الا شيخ ضعيف على حمار هزيل ومعه صبي له ، وقد أقبل من بعض نواحي الجيزة ، فلما أعجل الناس وهب ليعجل معهم لم يكن له نهضة ولا لحماره ، فسقط عن الحمار . فأقبل أحمد بن طولون ينظر اليه والى الصبي معه قد سقطا جميعاً . فقال لي : امنعهم من ازعاج هذا الشيخ ، وقف عليه وارفق به حتى يركب حمـاره والحقني به ، فما أشك أنه مظلوم ، وقد وافانا يريد التظلم ، وسائله في طريقك معه الحيّ عن خبره ، وسبب دخوله الى مصر ، فان ذكر ظلامته فاسأله ممن يتظلم ؟

قال سعد : فوقفت عليـه حتى عبر احمد بن طولون ، وعبرت مع الشيخ ، وقد رددته معي ، فلخوفه انقاد معي ولم يسألني عن رده ، وأقبلت أسير معه قليلاً قليلاً ،

على قدر سير حماره ، وسألته عن خبره وسبب دخوله الفسطاط ، فقال : ماترك لي وكيل ابن دشومة بذات[1] الساحل شيئاً أرجع اليه ، وكنت مستوراً فهتكني ، وكنت غنياً فأفقرني ، حتى صرت بين المزارعين مرحوماً فقيراً ، بعد أن كنت موجِداً موسراً . فدخلت مستغيثاً الى الأمير أيده الله ، وكان ابن دشومة يومئذ أميناً على أبي أيوب[2] في الخراج . فلما لحقنا أحمد بن طولون وكلت بالشيخ ، ودخلت اليه في مَضربه ، فعرّفته جميع ما عرفني به الشيخ ، فوجه من ساعته بمن أحضر اليه ابن دشومة من مصر الى الجيزة ، ولم يصبر الى أن يعود ، لقوة رغبته في الثواب والخير ، فأُحضر فقال له : ويحك إن الضياع تُشبه البستان ، والمزارعون شجرة ، فإن رفق بهم ، وأحسن القيام بأمرهم ، ورعوا باصلاحهم ، طلعت الثمرة ونمت وزكت ، وان لم يفعل ذلك ، هلكت الشجرة وذهب ثمرها ، فأحضر كاتبك الساعة الساعة ، ومختار الناحية الى هاهنا ، ولا تبرحا حتى تنصف هذا الشيخ من ظلامته ، وتبلغ له ما يحبه وتعرفني ، فاني هاهنا أراعي ما يكون منك في أمره .

فطار عقل ابن دشومة ، وجعل يتوقع مكروه أحمد بن طولون ، ووجه بمن أحضر صاحبه والمختار بالناحية ، وابن دشومة كالمعتقل ، حتى جمع بينهما وبين الشيخ ، وذكر ما جرى عليه ، فحطوا عنه ما كانوا يطالبونه به ، وأسقطوا عنه ما شكاه من الغبن عليه ، وبلغوا له فوق ما يحبه ، وأحمد بن طولون يطالعهم برسله من حيث لا يعلمون ، حتى عرف جميع ما جرى بينهم وبينه ، وأقبل في خلال ذلك ينفذ الى ابن دشومة خادماً بعد خادم يقول له : أنصف الشيخ ، ابلغ له فوق ما يحبه ، ويكدهم في الفراغ من أمره ، ويعرفهم أن مقامه بالجيزة بسببه ، الى ان ينصف فيعود الى الفسطاط ، فلما فرغوا من أمر الرجل ، دخل اليه ابن دشومة فعرفه أنه قد بلغ

(١) يفهم مما ذكره ابن مماتي ان ذات الساحل كانت من عمل الجيزة وهي إلى شمال الفسطاط قرية من أم دينار (قاله الأستاذ فييت في تعليقاته على خطط المقريزي) .

(٢) في ابن الداية : أبي ذؤيب .

له ما أحب ، فأمر بإحضاره ، فلما حضر قال لابن دشومة : اشرح لي قصته وكيف ظُلم ، وما عملت في امره ، فكان ابن دشومة بعيد عليه أمره ، وهو يُرْعد خوفاً من بادرة تلحقه منه ، والشيخ واقف يسمع كل ما يجري في أمره ، فلما فرغ من شرح ذلك قال له : ياشيخ الأمر كما حكى ؟ قال : نعم ايها الأمير ، جعل الله عليك واقية ، وسترك في الدنيا والآخرة ، فلما سمع ابن طولون قوله « والآخرة » بكى وخرّ ساجداً لله ، ثم قال له : زال عنك ما كرهت ، وبلغت ما أحببت ؟ قال : نعم ايها الأمير احسن الله اليك كما احسنت إليّ ، فقال : ما شاء فعل بك ، ذاك بمنه وكرمه . فقال له : كم عمارتك ؟[1] قال : خمسون ديناراً قال له : فتطيقها ؟ قال : لا . قال : فكم تطيق ؟ قال : ثلاثين ديناراً . فأمر بأن تجعل عمارته عشرين ديناراً ، ووهب له خمسين فداناً يزرعها ما احب ويعطى تقوية في كل سنة ولا تؤخذ منه التقوية ولا تسترجع ، وجعل ذلك كالصدقة وقال له : يا شيخ لولا ان حط العمارة عنك يحط من منزلتك في بلدك لحططتها ، فدعا له ، فقال : ما فعله الأمير أيده الله في امري فهو اكثر من الحطيطة ، وجميعه صدقة عليّ وعلى ولدي وعيالي ، فأجاب الله منا فيك صالح الدعاء ، فأمر بأن نهب له عشرين ديناراً ، وقال له : خذ هذه الدنانير فاشتر بها حماراً فارهاً لا يرميك على الجسر ، ولا يقف بك إذا عبر الأمير عليك ، وضحك احمد بن طولون ، وانكب الشيخ ليقبل الأرض فمنعه من ذلك وقال له : احذر ثم احذر ان تفعل هذا بأحد من المخلوقين ، فانه لا يؤثره الا كل جبار عنيد ، والسجود لله وحده عز وجل ، فانصرف الشيخ على غاية من السرور ، بما تمّ له من إزالة الظلم والمسامحة في العمارة ، والإفضال عليه ، وهبة الدنانير ؛ وممازحة احمد بن طولون في الحمار ، فرأيته في انصرافه يبكي فرحاً ؛ ويدعو لأحمد بن طولون بنية خالصة ؛ وحصل له بذلك جاه في بلده ووطنه ومحله ؛ ومنزلة وسطوة .

محمد كرد علي

---

(١) العمارة بالكسر : ما يعمر به المكان ، والعمارة ، بالضم : أجرها .

كتاب البديع لعبد الله بن المعتز

هذا كتاب قدَّم عبد الله بن المعتز في ابوابه ما وجده في القرآن واللغة والأحاديث وكلام الصحابة والأعراب وغيرهم واشعار المتقدمين من الكلام الذي سماه المحدثون: البديع، وعنده ان ابواب البديع خمسة: الاستعارة والتجنيس والمطابقة ورد أعجاز الكلام على ما تقدمها والمذهب الكلامي؛ وقد ذكر بعد فروغه من هذه الأبواب طوائف من محاسن الكلام كالالتفات والاعتراض والرجوع وحسن الخروج وتأكيد المدح بما يشبه الذم وتجاهل العارف والهزل الذي يراد به الجد وحسن التضمين والتعريض والكناية والافراط في الصفة وحسن التشبيه والابتداآت.

أشار عبد الله بن المعتز في اثناء الكتاب الى انه ألفه سنة اربع وسبعين ومائتين ولم يسبقه إليه احد؛ وغرضه فيه تعريف الناس ان بشاراً ومسلماً وابا نواس ومن تقيلهم وسلك سبيلهم من المحدثين لم يسبقوا المتقدمين الى شيء من ابواب البديع، ولكنه كثر في اشعارهم فعرف في زمانهم حتى سمي بهذا الاسم؛ ثم ان حبيب بن اوس الطائي من بعدهم شغف بالبديع حتى غلب عليه واكثر منه فأحسن في بعض واساء في بعض.

ليس في كتاب البديع شيء خطير من النقد وانما خصائص هذا الكتاب انه تضمن امثالاً من البديع مأخوذة عن بعض شعراء المتقدمين فيه كامرئ القيس والنابغة وزهير وعن كتاب الله عزّ وجل وعن الأحاديث وكلام الصحابة وعن بعض شعراء بني أمية كالأخطل وجرير والفرزدق وعن بعض شعراء بني العباس مثل بشار وابي نواس والطائي والبحتري وعن بعض الخلفاء كالمنصور والرشيد وغيرهما.

فاذا نظر القارئ الى هذه الأمثال وأعمل فيها يسيراً من الروية استطاع ان يدرك الأطوار التي تقلب فيها البديع من ايام الجاهلية الى ايام عبد الله بن المعتز، واذا كتب لرجال التأريخ الأدبي في هذا العصر ربط هذه الأطوار بعضها ببعض؛

حتى تتصل أواخرها بأوائلها وقياس بعضها الى بعض؛ تيسر لنا ان نعرف كيف انتقل الخيال العربي من صورة الى صورة؛ وكيف امتد من افق الى افق؛ على قدر ما كان فيه من الآثار؛ كآثار البداوة والحضارة وغيرهما؛ وحينئذٍ يتكامل تاريخنا الأدبي فنشهد فيه تسلسل الخيال والحس والشعور في رجال العبقرية على صورة مطردة ·

***

اعتنى بنشر كتاب البديع والتعليق عليه السيد أغناطيوس كراتشقوفيسكي عضو أكاديمية العلوم في لينينغراد والمجمع العلمي العربي في دمشق وطبع الكتاب في انكلترا سنة ١٩٣٥ وهو يشتمل على مقدمة باللغة الانكليزية فيها اربعة فصول بحث في بعضها عن تأريخ نشر الكتاب وعن محتوياته وعن المصادر وهي لا تخلو من آراء أدبية قد ينفع الاطلاع عليها ·

شفيق جبري

الفنون الصناعية

خمسة أجزاء كل جزء في نحو ٢٠٠ صفحة من القطع المتوسط

هي سلسلة من الكتب الصناعية المدرسية ألفها المهندس الصناعي السيد عاطف أديب المالح احد اساتذة دار الصناعة بدمشق ، وقد صدر منها الى الآن كتاب في فن النجارة ، وآخر في الآلات اليدوية ، وثالث في علم الحيل اي الميكانيك ورابع في الآلات التي تصنع بها الآلات وهو جزءان ، وذكر المؤلف انه سيطبع عما قريب كتاباً في الحدادة اليدوية والآلية ، وثانياً في سكب المعادن وثالثاً في صناعة السيارات .

والمؤلف احد الشبان الذين درسوا في فرنسا وعادوا للتدريس في مدارس سورية ، وعدد هؤلاء الشبان كبير ، ولكن معظمهم ويا للأسف لم يجشموا أنفسهم ، بعد عودتهم الى وطنهم ، متاعب التأليف بالعربية ، فأشبهوا بذلك الطلاب العرب الذين كانوا يدرسون في اسطمبول ايام الدولة العثمانية ، والذين انما كان قصارى معظمهم الحصول على وظائف حكومية ، حتى اذا حصلوا عليها ، ناموا مطمئنين هادئين ، دون ان تستفيد اللغة الضادية منهم أي فائدة .

وليس السيد عاطف المالح من هذا النفر ، فهو قد جد وسعى ، وتحرى المصطلحات الصناعية على قدر طاقته ، ورسم اشكالاً عديدة ضمنها تضاعيف كتبه وحفر رواشمها بيديه ، وطبعها طبعاً متقنا ، فسدت هذه الكتب فراغاً في الناحية الصناعية المدرسية .

ولا شك ان الكتب المذكورة لم تخل من أغلاط لغوية لا يتسع المجال للتنبيه اليها ، ولكن هذه الأغلاط لا تقدح بمؤلفات فنية صناعية قلما يتقن المرء مصطلحاتها الا بشق الأنفس ، وأمام المؤلف متسع من الوقت لاتقان لغة كتبه في المستقبل ، مادام هوى التأليف بالعربية دافعاً له على العمل .

ومقدمة هذه السلسلة من الكتب المدرسية الثمينة مكتوبة بقلم المهندس الكهربائي السيد اميل غنيوبه مفتش التعليم الفني في سورية .

مصطفى الشهابي

مؤرخ العراق ابن الفوطي

ظفر الاستاذ السيد محمد رضا الشبيبي بدار الكتب الظاهرية بدمشق بنسخة نادرة من الجزء الرابع من أجزاء المعجم الذي الفه مؤرخ العراق ابن الفوطي وسماه : مجمع الآداب في معجم الأسماء والألقاب ، ووضع كتاباً يشتمل على تأريخ العراق في عصر ابن الفوطي لخص عنه محاضرةً وجيزة حاضر بها سنة ١٩٤٠ جمهوراً من أهل العلم والادب في بغداد ونشرت محاضرته في السنة نفسها .

تكلم في محاضرته على كمال الدين عبد الرزاق بن احمد الفوطي الشيباني البغدادي الذي ولد في بغداد سنة ٦٤٢ هـ ، أي بعد مضي سنتين على مبايعة المستعصم آخر خلفائها ، وتوفى سنة ٧٢٣ واستند في كلامه عليه الى تأريخه نفسه اي الى الجزء الرابع من مجمع الآداب .

شهد ابن الفوطي غارة المغول على بغداد فقد حاصرها التتار ثم فتحوها فأسروا خلقاً في جملتهم ابن الفوطي فتيسر له أن يشاهد أعظم ملوكهم واقطاب دولتهم وأن يزور اشهر حواضرهم ويتصل بحكامها وأعيانها وعلمائها ويدرس حالة عصره حتى استطاع أن يصل الى مقاصر الأميرات المغوليات .

إلاّ أن أسره لم يطل فقد سعى في فكه الفيلسوف نصير الدين الطوسي وصرفه الى دراسة الرياضيات والفلسفة وعهد اليه ان يشرف على خزانة كتب دار الرصد في مراغة حاضرة المغول فسلخ فيها ثلاث عشرة سنة ملازماً في خلالها لنصير الدين ولغيره من كبار العلماء والاساتيذ ، وقد أتقن اللغة الفارسية وربما ألمّ باللغة المغولية .

وفي سنة ٦٧٨ تمكن بفضل علاء الدين الجويني من الرجوع الى بغداد وعلاء الدين هذا أشهر من حكم العراق أيام هولاكو وابنه اباقا ، ولم يكتف باعادته الى مدينة السلام ؛ وانما عهد اليه ان يشرف على خزانة كتب المستنصرية فشغلته

فيها قراءة الفقه والحديث ثم تخلى عن عمله في المستنصرية سنة ٧٠٤ فرحل الى تبريز وأقام فيها ست سنين ثم عاد الى بغداد ثم رجع الى تبريز وقد كثر تردده إليها ٠

لابن الفوطي آثار كثيرة ولكن لم يظهر من هذه الآثار الاَّ الحوادث الجامعة ؛ والجزء الرابع من معجمه في التراجم ويرى الاستاذ الشبيبي ان ابن الفوطي انفرد باسلوبه في النقد الصريح ٠ فكتبه من أصح المستندات العربية التي يعول عليها في تأريخ العصرين الاول والثاني من عصور المغول في بغداد ٠

شفيق جبري

الطرفة في مخطوطات دير الشرفة

تأليف

الخور فسقفوس اسحق ارملة السرياني

جونية — مطبعة الآباء المرسلين اللبنانيين ١٩٣٦ (صفحاته ٥٢٦)

هذا الكتاب فهرست مفصل لمخطوطات دير الشرفة الذي انشأه في كسروان عام ١٧٨٦ بطريرك السريان الانطاكي ميخائيل الثالث ، وجمع في خزانته ما كان قد اشتراه في حياته او نسخه ، وجعل تلك الخزانة الغنية بمخطوطاتها السريانية تؤلف الجزء الاكبر من كتب الدير ، فقد شغل وضعها ٢٨٥ صفحة من الطرفة ، والمخطوطات العربية يتألف وضعها من ١٩٧ صفحة ، وجلّ كتب الدير في الصلوات والأبحاث الدينية ؛ على ان المخطوطات السريانية تشتمل من كتب العلم والأدب على ٢٧ صفحة ، والمخطوطات العلمية العربية تشتمل على ٦٤ صفحة فهي أسعد حظاً من السريانية ٠

لقد انتشرت الثقافة العربية في الأندلس انتشاراً هزم اللغة اللاتينية ولغة البلاد الاصلية مما جأر له بالشكوى كاهن قرطبة ، وحمله أخيراً مع القسيسين على نقل كتب الدين الى العربية ليفهما ابناء الملة ، وهو ما حدث في بلاد العرب

كالعراق والشام ومصر وغيرها؛ اما تغلب العربية على السريانية في بلاد الشام، وزمن نقل الأناجيل وكتب الصلوات والطقوس، وزمن اشتغال السريان بتأليف كتب الصرف والنحو، فيستدل بكتاب الطرفة عليه، وفيه كثير من الطرائف التاريخية، منها ما يفيد العرب معرفته كالعلم بالعصر الذي تم فيه اسلام بني تغلب، فقد جاء في الصحيفة ٣٢٦ من كتاب المرشد للشيخ السرياني اليعقوبي يحيى بن جرير التكريتي ما نصه: «وقد كان في العرب نصارى كبني تغلب وقوم من اليمن وغيرهم، ومعهم اسقف يطوف معهم في الحلل في سفرهم، وينقل المذبح اعني الدفة المقدسة (طبليث) من موضع إلى موضع الى سنة ثلاثمائة للعرب، وصل الى تكريت قوم من العرب النصارى، وابتاعوا لهم ميرة ليمتاروا بها، وكان منهم رجل ديناً حسن الطريقة فقلده مطران تكريت الاسقفية، وكان يقدس لهم باللفظ العربي، وكان يقدس لهم على الانجيل ...» والعلامة افرام بطريرك السريان في حمص عضو المجمع العلمي العربي كان يبالغ في الثناء على المارجرجي الأسقف العربي الفيلسوف، وقد ذكر له في الطرفة بعض المؤلفات. ونقلة تاريخ الفلسفة في عصرنا هذا عن اللغات الأوروبية لا يعلمون ان هذا الفيلسوف العظيم هو عربي صميم.

ومما يدل على تغلب العربية على السريانية في بلاد الشام ما جاء في الصفحة ٦٢ من الطرفة: ملاحظة كتبها السيد اغناطيوس بطرس جروة (١٨٢٠ — ١٨٥١) البطريرك الأنطاكي وهي بنصها: «ترجمنا فصول الأناجيل الى العربي ... ويلزم الكهنة في الآحاد والأعياد مع الشمامسة ... أن يقرؤا الرسائل والاناجيل عربياً، وكذلك النافورات المترجمة من السرياني و.. »، وفي الصفحة ١٢٣ وتحت اسم (الحسايات او السذوات)، ويراد بها صلوات استغفارية خشوعية يترنم بها الكاهن السرياني والماروني، جاء ما نصه: «وقد نقلها الأئمة على تراخي الاحقاب الى العربية ليقف على مضامينها جمهور المؤمنين، فلم يبق منها في أصلها السرياني بين مخطوطات الشرفة الا النزر.»؛ وفي الصفحة ١٣٦ جاء خلال الكلام على نسخة

(الرسامات الكهنوتيه) : ان البطريرك اغناطيوس (ميخائيل الثالث) هو الذي نقل الصلوات والحسايات الى العربية .

أما اول من الف كتب النحو العربية من السريان فقد جاء ص ٤٣٦ اسم كتاب (شرح الاجرومية للملة النصرانية) وجاء في الكلام عليه ما نصه : « ويستنتج من ذلك ان السيد غريغوريوس نعمة قدمي صنف كتابه هذا في قلعة ادنه عام ١٧٠١ — ١٧٠٤ اذ كان بعد قسيساً ، وانه هو أول من طرق هذا الباب من أئمة المسيحيين ؛ على ان السيد جرمانوس فرحات لم يؤلف كتابه (بحث المطالب) الا بعد ست سنوات من تأليف السيد نعمة قدمي ، وقد انتشر كتاب السيد نعمة هذا في اوائل القرن الثامن عشر انتشاراً عظيماً كما يتضح من النسخ العديدة المصونة الى اليوم في دور الكتب .

ومن حكماء اليعاقبة الذين ذكرهم كتاب الطرفة ابو زكريا يحيى بن عدي التكريتي المنطقي الذي نشر له رئيس مجمعنا كتاب (تهذيب الأخلاق) ، ولا متاعه نشره أيضاً في شيكاغو سنة ١٩٢٨ السيد سويريوس افرام برصوم وصدره بمقدمة مستملحة في احدى عشرة صفحة ، وصف فيها اصل يحيى وفصله وتآليفه البالغة ٧٠ تأليفاً ، ومنها مقاله في التوحيد نشرت في مجلة المشرق ، وردّه على يعقوب ابن اسحق الكندي نشر في مجلة الشرق المسيحي سنة ١٩٢٠ ، وكتاب ما بعد الطبيعة نقله من السرياني الى العربي على ما ذكره ابن العبري في تاريخ الدول العربي ص ٦٣ ، ومنها كتاب ثاوفرسطس نقله كذلك من السرياني الى العربي على ما ذكره العلامة السمعاني .

ويتضح بما تقدم مافي البحث العلمي عن فهارس دور الكتب من الفوائد ، ويستحق المؤلف الفاضل كل ثناء لعنايته بمخطوطات خزانة الدير السريانية والعربية على السواء ، ونشكر له اتحافه بهذه التحفة التي اصاب في تسميتها بالطرفة

التنوخي

كتاب الكليات

لابن رشد

لأبي الوليد محمد بن رشد فيلسوف العرب الأشهر كتاب طبي موجز عرف بكليات ابن رشد ، يحتوي على سبعة أبحاث ، كل منها يسمى كتاباً في اصطلاح تلك الأيام . وهذه الكتب او الأبحاث هي : كتاب تشريح الأعضاء و كتاب الصحة و كتاب المرض و كتاب العلامات و كتاب الأدوية والأغذية و كتاب حفظ الصحة و كتاب شفاء الأمراض .

ونُسخ كتاب الكليات نادرة ، واقدمها نسخة مخطوطة وجدت في دير الجبل المقدس بأعالي غرناطة ، وهي كاملة مضبوطة . وقد عمد معهد الجنرال فرنكو للأبحاث العربية الاسبانية في طنجة الى هذه النسخة فنقلها بالتصوير الشمسي على ورق جيد ، بعد ان قدم لها السيد ألفريد البستاني (استاذ الآداب العربية في معهد الدراسات المغربية في تطوان) بمقدمة حسنة ذكر فيها نشأة بن رشد ، وأشار الى مؤلفاته ، ولخص آراءه الفلسفية ، وبين انه كان اعظم شارح لفلسفة أرسطو المعلم الأول. وترجمت هذه المقدمة الى الاسبانية وطبعت في الجهة اليسرى من الكتاب .

ووُضع في آخر كتاب الكليات فهرس لموضوعات ابحاثه ، وفهرس ثان لبعض النباتات والحيوانات والمعادن التي ذكرت فيه ، مع بيان اسمائها العلمية واسمائها الاسبانية ، وبيان شيء موجز عن كل منها .

ويقول ناشرو كتاب الكليات ان معهد الجنرال فرنكو يعد الكتاب المذكور باكورةً لمخطوطات عربية أخرى ستنشرها لجنة الأبحاث العربية الاسبانية في المعهد المشار اليه ، وهو عمل يشكرون عليه . وما دام الأمر كذلك فمن المفيد ان ننبه المعهد الى نواقص وهنات وردت في الكتاب لعل القائمين على هذا العمل الجليل ينقون أمثالها في منشوراتهم التالية .

أولاً : من المعلوم أن المخطوطات التي تكون منسوخة في القرن السادس من الهجرة بخط مغربي قلما تكون قراءتها سهلة ، ولا سيما اذا كان القرّاء من العرب المشارقة ، ومن العبث أن يضيع هؤلاء القراء معظم وقت القراءة في تهجي حروف الكتاب بدلاً من تفهم معاني جمله . ولهذا من الضروري ان تطبع المخطوطات التالية طبعاً ، وان لا يكتفى بنقل صورها الشمسية .

ثانياً : تراث اجدادنا الأقدمين انواع ، فالأمهات من كتب الادب تصلح لكل زمان ومكان ، والأمهات من كتب اللغة لا غنى عنها الى ان نضع ما هو اصلح منها لزماننا هذا الذي اتسعت فيه المعارف البشرية اتساعاً ضاقت عنه المعجمات القديمة كل الضيق . اما الكتب الفلسفية التي خلفها الاجداد ففي قراءة كثير منها فوائد جمة ككتاب التهافت للغزالي و كتاب تهافت التهافت لابن رشد واشباههما . واما الابحاث العلمية التي خلفوها فبعضها لا يغير الزمان حقائقه كالقواعد والنظريات الرياضية ؛ وبعضها لم يعد صالحاً لأيامنا هذه ككتب الطب والزراعة والطبيعة ، لأن هذه العلوم قد تقدمت وتوسعت كثيراً وتبدلت اليوم تبدلاً كلياً عما كانت عليه في القرون الوسطى او في أيام المدنية اليونانية .

ويتضح من ذلك انه لا فائدة علمية تذكر في طبع مثل كتاب الكليات ، لكن في طبعه فائدة تاريخية كبيرة من حيث أنه حلقة من حلقات تاريخ العلوم الطبيـة ، وله أيضاً فائدة أُخرى وهي اشتماله على مصطلحات يجدر بعلمائنا المعاصرين اقتباسها .

ثالثاً : عندما يُعمد إلى وضع الأسماء العلمية التي تنظر إلى الكلم العربية يجب ان يناط هذا العمل بعالم اختصاصي ، فالسيد الفريد البستاني لم يوفق في فهرس النباتات والحيوانات كما وفق في المقدمة التي وضعها عن ابن رشد . ولهذا جاء في هذا الفهرس أغلاط كثيرة نجتزئ بذكر بعضها :

(١) وضع إزاء لفظة « أُشنة » اللفظة العلمية Juniperus oxycedrus

على حين ان هذه اللفظة تدل على شجر العرْعر . وأين الأُشنة من العرْعر .

(٢) جعل أمام لفظة « اِلجران » التي يستعملها المغاربة للدلالة على الضفدع لفظة Ranunculus على حين ان هذه اللفظة العلمية تدل على نبات الحوْذان . وفي هذا الجنس من النبات أنواع كثيرة يعرفها المشتغلون بالنباتات الزراعية كحوْذان الزهارين والحوذان الافريقي (عود الصليب) والحوذان الزاحف والحوذان الحرّيف (زر الذهب) الخ ..

(٣) جعل لفظة الجلبان تنظر إلى الكلمة Ervum ervilia والحقيقة ان الاسم العلمي للجلبان هو Latirus sativus أما الكرسنة فهي Vicia ervilia .

(٤) وضع أمام لفظة الدُلب لفظتي Chaisnus, casnus وجنس الدلب في اللسان العلمي Platanus وفيه أنواع .

(٥) جعل الصفصاف ينظر إلى Populus في حين أن هذه اللفظة تدل على الحور. أما الصفصاف فهو جنس Salix وفيه أنواع عديدة .

(٦) جاء أمام لفظة الثوم Pallium والحقيقة Allium Sativum .

(٧) وضع أمام لفظة البصل Unio على حين ان اسم البصل العلمي Allium Cépa

(٨) وضع للبطيخ اسمًا غير اسمه العلمي المعروف وهو Citrullus Vulgaris

(٩) لم يذكر الأسماء العلمية لعدد من النباتات المعروفة كالبندق والتين والجوز والعنب ، وهذه الأسماء موجودة في كتاب « الأشجار والأنجم المثمرة » من تأليفي وفي غيره من الكتب الزراعية .

(١٠) جاء في عدد كبير من الأسماء العلمية اغلاط مطبعية شوهت هذه الأسماء تشويهاً شنيعاً ، ومن هذه الأسماء المشوهة تلك التي تنظر الى النباتات الآتية : الباذنجان والحلبة والحناء والسرو والعناب والقرظ والكرفس واللفاح واللوبياء والياسمين وغيرها .

هذا بعض ما رأيت ان ألفت النظر اليه من الهنات · والحقيقة انه مامن لفظة وردت في هذا الفهرس الا وفيها غلطة او اغلاط سواء من حيث عدم الاهتداء الى الأسماء العلمية الصحيحة ام من حيث عدم الانتباه للأغلاط المطبعية ام من حيث عدم التدقيق في قليل الايضاحات التي ذكرت لكل نبات ·

ونحن لا نذكر هذه الأمور تثبيطاً لعزائم رجال معهد الجنرال فرنكو بل شحذاً لهممهم وتشجيعاً لهم على السير في عملهم المفيد حتى تجيء الكتب التي وعدوا بنشرها خالية من امثال هذه الهنات · ولا شك ان المجمع العلمي العربي بدمشق هو اول من يغتبط بنشر كنوز الأندلس الدفينة وإلباسها أثواباً قشيبة كالحلة الجميلة التي كسي بها كتاب الكليات ·

مصطفى الشهابي



النبوغ المغربي في الأدب العربي

جزآن بالقطع الصغير في نحو ٦٧٠ صفحة طبع في المطبعة المهدية بتطوان

تأليف عبد الله الكنوني

مؤلف هذا الكتاب الاستاذ الفاضل المؤرخ سيدي ابو محمد عبد الله الكنوني الحسني من أسرة كنون المشهورة بالعلم والصلاح في المغرب الأقصى ، ذكر مايريده من الأدب العربي في مقدمة كتابه فقال :

(هذا كتاب جمعنا فيه بين العلم والأدب والتاريخ والسياسة ورمينا بذلك الى تصوير الحياة الفكرية لوطننا المغرب) فدلّ بذلك عي انه لم يقصر كتابه على تراجم الأدباء وما أثر عنهم من منظوم ومنثور كما هو مفهوم الأدب قديماً وانما هو يتمشى مع روح العصر في معنى الأدب

أما الحامل له على وضع كتابه فقد أبانه بقوله :

(نربط حلقات البحث الموصل الى اكتناه حقيقة ماضينا الأدبي ليشاهده من كان يجادل فيه) ولكن من يكون هذا الذي يجادل في ماضي المغرب الادبي ؟ يظهر ان المؤلف اراد بهم اهل المشرق بل قد صرح بذلك فقال :

(وقد كثر عتب الأدباء في المغرب على اخوانهم في الشرق لتجاهلهم اياهم وانكار كثير منهم لكثيرٍ من مزاياهم) وكان علي المؤلف ان يكشف عن مراده بالمغرب الذي نتجاهله : أهو المغرب القديم او المغرب الحديث ؟ فاننا معشر المشارقة نؤمن بالمغرب القديم إيماناً قد يكون اقوى من ايمان اهله به : نؤمن بابن خلدون ومقدمته ، والقاضي عياض وشفائه ، وبابن مالك والفيته ، وابن رشد وفلسفته ، وابن سيده ومخصصه ، وابن عربي وفتوحاته (مع شيءٍ من التوقي والحذر) وابن جبير ورحلته ، وبالشاطبي وموافقاته ، وبالشاطبي الآخر وشاطبيته (في علم القراآت) وابن زيدون ورسالته (الى ابن عبدون) والمقري ونفح طيبه وابن حزم وفضله ، وابن

الطفيل وحي بن يقظانه ، وابن حجلة وديوان صبابته ، وابن عبد ربه وعقده ، والشريف الادريسي ونزهة مشتاقه (في الجغرافية) ، كل أولئك نعجب بنبوغهم ونراهم حجة للمسلمين على غيرهم ؛ اما المغرب الحديث فاننا لسنا ضعيفي الثقة بنبوغ ابنائه وانما نحن قليلو المعرفة بهم وبآثارهم . وقد أخذت هذه المعرفة تنمى بيننا وتزيد : من يوم ان جعلت مطابع المغرب تتحفنا من وقت الى آخر بآثار السادة (ابن زيدان) و (الكتاني) و (الحجوي) وأخيراً (الكنوني) ومن يوم ان قام الفضلاء امثال سيدي (ابو عياد) وسيدي (محمد داود) يترددون بين المشرق والمغرب : يأخذون من افواهنا ويلقون على مسامعنا ما يسرُّ تارةً ويؤلم أخرى ، ولكنه في الجملة مؤدٍ الى شدّ الأواصر وتنوير البصائر .

نرجع الى كتاب (النبوغ المغربي) فأول ما يثير عجبنا منه انه لم يكن على نمط أمثاله من مطبوعات المغرب التي اعتدنا ان نلمس فيها جودة الورق وحسن الحرف واتقان الطبع ، بلى ضرب على غرارها في كثرة الأغلاط ، وقلة العناية بالتصحيح وترك التعليق على ما يحتاج الى إيضاح ولا سيما بالنسبة الينا معشر المشارقة الذين ألف الكتاب باسمنا وعلى نية إفادتنا .

والكتاب بجملته منقسم الى جزئين (الجزء الأول) تضمن احوال عصور المغرب (او انقلاباته) وجعلها المؤلف خمساً

وقد ذكر في كل عصر سياسة الدولة أولاً ثم يعقبها بذكر (الحركة العلمية) فيترجم لعلماء ذلك العصر ثم (الحياة الأدبية) فيذكر ما للملوك من التأثير فيها ثم يترجم للأدباء ويستطرد الى ذكر ماله علاقة بذلك

خذ مثلاً (عصر العلويين) التي قامت فيه (الدولة الشريفة) منذ أوائل القرن الحادي عشر الى اليوم : فقد ذكر المؤلف موجزاً من قيام هذه الدولة ونشاطها في قمع المخالفين ثم علاقاتها السياسية مع مجاوريها من ملوك اوروبا ثم المقارنة بين ملوك

هذه الدولة : أيهم أساء وأيهم أحسن : من ذلك ثناء المؤلف على أحدهم (محمد بن عبد الله) الذي سعى في التقرّب من الدولة العثمانية وشدّ أزرها حتى انه طرد سفير الروسية من طنجة لحين نشوب الحرب بين الروس والعثمانيين ، ثم ختم المؤلف هذا العصر بذكر مآثر مولاي الحسن الذي توفي سنة ١٣١١ ﻫ وانتقل الى (الحركة العلمية) فذكر ضعفها حيناً ونشاطها حيناً آخر والأسباب التي أدّت الى كلا الأمرين

ومما ذكره في أخبار هذا العصر ان مولاي محمد بن عبد الله اصدر منشوراً علمياً خاطب فيه علماء بلاده مشيراً عليهم كيف يجب ان يكون سلوكهم في التحصيل وفي اختيار كتب العلم وقد سرد عليهم اسماء ما يعوّل عليه منها وما ينبغي اطراحها ، ثم ذكر المؤلف علماء هذا العصر تحت عنوان (الهيأة العلمية) يريد جماعة العلماء) كما نقول في بلادنا (هيأة المحكمة) بل كما يقول المصريون (هيأة كبار العلماء فترجم لبضعة عشر منهم واكتفى عن ذكر بقيتهم بسرد ما تركوه من المؤلفات فاستوعبت خمس عشرة صفحة فقط . وفي احصائها على هذه الصورة فائدة لعشاق الكتب ولجان النشر وارباب المطابع . ثم انتقل المؤلف الى (الحياة الأدبية) فذكر عناية ملوك هذه الدولة بالأدب والادباء وتقريبهم اياهم واجزال الصلات لهم حتى ان (مولاي رشيد) أجاز شاعراً بألفين وخمسمائة دينار على بيتين قالهما فيه وهما :

فاض بحر النوال في كل قطر من ندى راحتيك عذباً فراتا
غرق الناس فيه فالتمس الفقـ ـرُ خلاصاً فلم يجده فماتا

ثم ترجم لطائفة من أدباء ذلك العصر وختمه بترجمة العلامة المؤرخ المسمى (اكنسوس) وذكر الاكنسوس هذا شعراً لكنه لم يفسر لنا كلمة (اكنسوس) ولماذا سمي هذا العالم بهذا الاسم وكانت وفاته سنة ١٢٩٤ ﻫ

أما (الجزء الثاني) من الكتاب فقد ضمنه ما أثر عن علماء المغرب وأدبائه (الذين ترجم لهم في الجزء الاول) من منظوم (حماسة وفخر وغزل ومدح وهجا الخ) ومنثور (خطب ومحاضرات ومناظرات ومقالات ومقامات الخ).

وكنا نتصفح الكتاب ونمرّ بصرنا على مضامينه فنفيد علما ، ونتذوّق من نبوغ أدباء المغرب ما طاب وقعاً ولذّ طعما ، غير أننا كنا أحياناً نلمح خلال فوائده الجمة أشياء كان يحسن السكوت عنها او الاقتصار على نبذة منها من ذلك قصيدة العلامة ابن ناصر (وفاته ١٠٨٩ هـ) وقد ختم بها الكتاب فكانت (مسك الختام ولبنة التمام) كما وصفها المؤلف وهي سبعون بيتاً كنت أقرأ منها البيت بعد البيت وانا أعجب من طولها وضعف نظمها ومنها قوله :

يا رب يا رب أنلنا الأمنا ... اذا ارتحلنا واذا اقمنا
يا رب واحفظ زرعنا وضرعنا ... واحفظ تجارنا ووفر جمعنا
واجعل بلادنا بلاد الدين ... وراحة المحتاج والمسكين
واجعل لها بين البلاد صولة ... وحومة ومنعة ودولة
واجعل من السرّ المصون عزها ... واجعل من الستر الجميل حرزها
واجعل بقافٍ وبصادٍ وبنون ... الف حجاب من ورائها يكون

لا جرم ان مثل هذه القصيدة يحتاج الى تعليق يبين اتصالها بموضوع (النبوغ المغربي) ويصف لنا على الأقل مبلغ تأثير استغاثتها الحارة في صيانة بلاد المغرب مما منيت به وانساقت اليه او لعل المؤلف ترك التعليق للقارئ الفطن فهو الذي يركّب ويحلل ، ويستنتج ويعلل .

المغربي

آراء وانباء

منهاج مجمع فؤاد الأول للغة العربية

في ١٣ من كانون الأول (ديسمبر) سنة ١٩٣٢ م اصدر جلالة ملك مصر فؤاد الأول عليه رحمة الله مرسوماً بإنشاء معهد باسم « مجمع اللغة العربية الملكي » يكون تابعاً لوزارة المعارف ، وأغراضه أن يحافظ على سلامة اللغة العربية ، وان يجعلها وافية بمطالب العلوم والفنون في تقدمها ، ملائمة لحاجات الحياة في العصر الحاضر . وأن يقوم بوضع معجم تاريخي للغة العربية ، وان ينظم دراسة علمية للهجات العربية الحديثة ، وان يبحث كل ماله شأن في تقدم اللغة .

وفي ٦ من تشرين الأول (اكتوبر) سنة ١٩٣٣ اصدر المرسوم الملكي بتعيين الاعضاء العاملين للمجمع ؛ وعدتهم عشرون عضواً : عشرة من المقيمين بمصر ؛ وخمسة من الشرقيين ؛ وخمسة من المستشرقين ، وهم : الدكتور محمد توفيق رفعت باشا (الرئيس) . حايم نحوم أفندي . الشيخ حسين والي (توفي) . الدكتور فارس نمر باشا . الدكتور منصور فهمي بك . الشيخ ابراهيم حمروش . الشيخ محمد الخضر حسين . أحمد العوامري بك . علي الجارم بك . الشيخ احمد علي الإسكندري (توفي) . هـ . ا . ر . جب . الدكتور ا . فيشر . ا . نلينو . (توفي) . م . ماسينيون . ا . ج . فنسنك (عين بدلا منه الاستاذ ليتمان) . محمد كرد علي بك . الشيخ عبد القادر المغربي . الأب أنستاس ماري الكرملي . عيسى اسكندر المعلوف أفندي . السيد حسن حسني عبد الوهاب .

وفي صباح ٣٠ من كانون الثاني (يناير) سنة ١٩٣٤ عقد المجمع الجلسة الأولى للدورة الأولى ؛ ثم والى بين اربع وثلاثين جلسة تمت بها هذه الدورة . وتابع المجمع عقد دوراته في مفتتح الشتاء من كل عام ، حتى أتم ست دورات ، كل دورة منها خمس وثلاثون جلسة ما عدا الأخيرة ؛ فقد كانت ستاً وثلاثين جلسة .

وكان فيما بين كل دورتين من دورات الانعقاد تجتمع اللجان التي ألفها المجمع ؛ وقسم بينها جمهرةَ العلوم والفنون ، وعهد إليها بدراسة المصطلحات ، وإعدادها للعرض على المجمع في موسمه السنوي . وهذه اللجان تجتمع مرة في كل اسبوع في خلال الفترة بين كل دورتين ما خلا أشهر الصيف ، وفي اثناء دور الانعقاد في بعض الأحيان ؛ وتستعين كل لجنة بخبير فني في العلم اوالفن الذي تُدرس مصطلحاته .

وقد وضع المجمع نصب عينيه اوّلاً اخذ الناشئين بصحيح العربية فيما يتدارسون من العلوم والفنون . ولما كانت المصطلحات الواردة في كتب التعليم في مصر ، إما مذكورة بألفاظها الأجنبية ، وإما مترجمة في الغالب ترجمة غير دقيقة ، عمد المجمع الى استظهار الفاظ فصيحة وصيغ دقيقة تؤدّيها على جهة الضبط والصحة ، وذلك اما باستخراجها من قديم العربية ومكنوزها ، واما بوضعها وضعاً جديداً . ووجه جلّ همه أوّلاً الى المصطلحات التي تدخل في التعليم الثانوي ، فاستخرج آلافاً منها في علوم الأحياء ، والرياضة ، والطبيعة ، والاقتصاد السياسي ، والقانون ، وتاريخ القرون الوسطى ، والموسيقى ، والرسم ، والعمارة . وأقرّ من هذا طوائف كبيرة هي الآن معدّة مشروحة في متناول المؤلفين والمعلمين .

وقد وافت ادارةُ المجمع وزارة المعارف بنحو ثلاثة آلاف وخمسمائة مصطلح من التي مرّ أكثر من عام على تقريرها ، على ان تطبع وتوزع على المؤلفين والمفتشين والأساتذة ، لإدخالها في كتب التعليم وفي التدريس . كذلك أحس المجمع حاجة الجمهور الى اسماء عربية تؤدّي المسميات الحديثة في الشؤون العامة كأدوات المنازل واثاثها ، وما تتناقله الألسن والاقلام في الاسواق والأندية والصحف ، فبحث في كثير من هذه المسميات ، وأقرّ طائفة جليلة من اسمائها ، وهي الآن مشروحة مقرونة بمقابلها الافرنجيّ .

ومن اهم ما عني به المجمع انه رأى ان في التزام بعض قواعد معينة من القواعد

التي دُرج عليها في العربية ، تضييقاً في افق اللغة ، وحرجاً في التعبير عن كثير من مستحدثات المعاني ، وعلى الخصوص ما يتعلق بالترجمة عن مصطلحات العلوم والفنون ، مما كان له ابلغ الأثر في قعود اللغة العربية عن مجاراة العصر الحديث وموافاة حاجاته لذلك بحث المجمع بحثاً وافياً في اصول اللغة ، وترسم مذاهبها المختلفة ، وتتبع ما مضت اليه آراء الأفذاذ والجماعات من متقدمي العلماء في قواعدها التي تتصل بهذا الباب ، وتخير منها كل ما ييسرها ، ويوسع اقيستها ، ويلينها للترجمة عن مستحدثات المعاني في غير عسر ولا حرج . واقرّ المجمع من هذه القواعد اكثر من اربعين قاعدة بعد درس وفحص ، وهي الآن صالحة جليلة النفع ، وقد استفاد المجمع منها اكبر استفادة في وضع الألفاظ الجديدة . وهذه القواعد ستعين المشتغلين باللغة العربية على انمائها .

ومما اتجه اليه جهد المجمع انه وضع نظماً ثابتة لتعريب الأعلام الأجنبية للممالك والبلدان ، وذلك لما رآه من الاضطراب الشديد ، سواء في كتابتها او النطق بها . فعمد الى تحقيق تلك الأعلام ، توسلا الى كتابتها والنطق بها على جهة الصحة ، واستحدث رقوماً وعلامات تُلحق بالحروف العربية ، بحيث اذا كتب بها العلم الأجنبي احتفظ بصورته الصحيحة ، وامكن النطق به كما ينطق به اهله . ورفعاً لعبء التطبيق عن المترجمين ، قرّر المجمع ان يوزع على اعضائه اعلام الممالك والبقاع في انحاء الدنيا ، لكتابتها طوعاً لتلك النظم المرسومة ، على ان يخرج بها معجماً جغرافياً وافياً يسدّ حاجة المشتغلين بالترجمة ومؤلفي الكتب الجغرافية ، وذلك بأيسر جهد .

هذا وقد أراد المجمع ان يسعف رجال التعليم بإرشادات سريعة في ترجمة اعلام البلاد ، فأصدر كشوفا بالأغلاط القائمة في المصوّرات الجغرافية المستعملة في المدارس ، وكذلك اصدر قائمة بأعلام بلاد السودان المصري ، والحبشة ، والصومال ، وشمال إفريقية ، وغرب آسيا على الوجه الصحيح .

كذلك عني المجمع بوضع المعجمات التي تدعو اليها حاجة الطلاب والمترجمين ، فقرّر وضع معجمين للتعليم الثانوي : (الأوّل) معجم علمي صغير للتعليم الثانوي في الأقطار العربية ، (والثاني) معجم لغوي تثبت فيه طوائف من الموادّ والألفاظ والصيغ التي تلائم جمهرة المثقفين ، على ان يكون على احدث نمط عصري ، بحيث يغني الطالب الثانوي والمثقف الوسيط عن غيره من المعجمات ، مع التيسير في الكشف والمراجعة . وتقوم الآن بوضع هذا المعجم لجنة مؤلفة من خمسة من حضرات اعضاء المجمع واستاذين في كلية الآداب .

وفوق هذا ، عمدت ادارة المجمع الى بعض المعجمات الخاصة بالعلوم والفنون ، فأفرغت مصطلحاتها العلمية في جزازات ، وذلك تمهيداً لترجمتها بما يؤدّيها من صحيح العربية ، وقد تم العمل حتى الآن في ثلاثة معجمات : (أحدها) في الاقتصاد السياسي . (والثاني) في الكهرباء واللاسلكي . (والثالث) في فن العمارة والبناء . ويجري العمل الآن في معجمين : (أحدهما) في مصطلحات الكيمياء . (والثاني) في مصطلحات الطب . وستكون هذه المعجمات وغيرها ، بعد ترجمتها ترجمة علمية صحيحة ، مادّة ميسرة ، سواء للمعجمات العربية الجديدة ، او الكتب العلمية .

وينشر المجمع قراراته اللغوية في القواعد والمصطلحات في مجلته السنوية . وقد اصدر حتى الآن منها اجزاء اربعة في نحو الف وخمسمائة صفحة ، حاوية للقواعد مع الاحتجاج لها ، والمصطلحات مع شروحها . وفيها الى جانب ذلك دراسات لغوية مستقلة لأعضاء المجمع وغيرهم من الباحثين . وأجزاء المجلة تهدى الى كثير من المعاهد العلمية في العالم الشرقي والغربي ، وكبار المشتغلين باللغة العربية في جميع الاقطار .

وأصدر المجمع فوق ذلك مجموعة المحاضر لأربع دورات ، وهي في نحو الفي صفحة ، مشتملة على ما دار في الجلسات من المناقشات العلمية ، ومما أخذ المجمع به نفسه ان قراراته في الاسباب اللغوية لا يصبح شيءٌ منها نهائياً الا بعد نشره بين يدي الجمهور

بعلم كامل ، وذلك ليتهيأ له مراجعة ما عسى ان يوجه عليه من فنون النقد .

واخيراً عنيت وزارة المعارف بوضع مشروع مرسوم يخوّل زيادة عدد الاعضاء الى ثلاثين ، وينظم من الأعضاء المقيمين بمصر مجلساً يعمل طوال العام ، على ان تكون القرارات الخاصة بمادة اللغة العربية من مؤتمر المجمع الذي ينعقد اربعة أسابيع متوالية في العام .

وفي ٢٨ من ايار (مايو) سنة ١٩٤٠ صدر المرسوم الملكي بهذا التعديل .

وفي ٢٥ من تشرين الثاني « نوفمبر » سنة ١٩٤٠ صدر المرسوم الملكي بتعيين عشرة من اقطاب اهل العلم والفضل والأدب اعضاء في المجمع ، وهم : الدكتور محمد حسين هيكل باشا . الشيخ مصطفى عبد الرازق باشا . الدكتور علي ابراهيم باشا . الأستاذ الشيخ محمد مصطفى المراغي . عبد العزيز فهمي باشا . احمد لطفي السيد باشا . عبدالقادر حمزة باشا . الاستاذ عباس محمود العقاد . الدكتور طه حسين بك . الأستاذ احمد امين بك .

(انتهى ملخصاً من منهاج مجمع فؤاد الأول للغة العربيه الصادر هذه السنة)

البدء بالتاريخ

ارجو ان تلفتوا نظر الحكومة لاستعمال الأعداد حسب القواعد العربية بالبدء من اليمين والعدول عن التراكيب التركية فمثل سنة ١٣٥٩ يجب أن تكون تسعة وخمسين وثلثمائة والف لا كما هو المتعارف الف وثلاث مائة وتسعة وخمسون بالترجمة التركية بيك اوچيوز اللي طقوز .

لعل هذه تكون خطوة أولى باصلاح الأخطاء العربية المستعملة بتعميم من رئاسة الحكومة يوجب اتباع القواعد العربية في مسائل الأعداد فان الله يزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن

محمد سعيد العرفي